

خمسون درساً في الأخلاق

تأليف

الشيخ عباس القمي

صاحب كتاب مفاتيح الجنان

تحقيق

نزار الحسن

مكتبة الأمين - الكويت - بيمه النشر

خمسون درساً في الأخلاق

تأليف

الشيخ عباس القمي

صاحب كتاب مفاتيح الجنان

تحقيق

نزار الحسن



هذه نسخة من كتاب
خمسون درساً في الأخلاق
لشيخنا العلامة
الشيخ عباس القمي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ

مراكز التوزيع

مكتبة الأمين

إيران - قم - ص.ب. ٤٣٥٩

هاتفك ٧٧٤٢٥٩٩

مكتبة الأمين

العراق - كربلاء المقدسة

شارع العباسية - هاتف ٣٣٥٢٦٢

مكتبة الأمين

للطباعة والنشر

الكويت - ص.ب. ١٥٩١٠

مكتبة الأمين - بنيد القار - حسينية أحمد عاشور

هذه نسخة من كتاب
الأمين



الاهداء:

أهدي هذا الجهد المتواضع البسيط إلى صاحب الخلق الرفيع،
والقلب الرقيق، والأدب البديع رسول الإنسانية العظيم، محمد بن
عبدالله (صلى الله عليه وآله وسلم)

عبدكم نزار

مقدمة المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين، لاسيما اللعن الدائم على أعدائهم الى قيام يوم الدين.

علم الأخلاق يُعتبر من أمهات المسائل الاجتماعية بل الاخلاق أساس المجتمع، لأن المجتمعات والشعوب بأخلاقها وقيمها لا بحضارتها وقدمها. ولولاها انعدمت الحياة المدنية واصبحت غابة يسودها القوي والضعيف فيها منسحق.

والثابت أن الاخلاق هي المعيار والضابط الذي يُقاس به، لأن المتبّع لسيرة أهل البيت - عليهم السلام - ورواياتهم يجد أن حسن الخلق هو سبب دخول الفرد الى الجنة هذا في دار الآخرة، وأما في الدنيا فهو سبب لرقى الإنسان إلى ذروة الكمالات، بعد هذا إن رسول الله محمد - صلى الله عليه وآله - لما بُعث للإنسانية بعد إنغماسها بالحيرة والضلال والفساد قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» لأنه - صلى الله عليه وآله - يدرك حقيقة الاخلاق ومدى تأثيرها في المجتمع المتفسخ خُلُقياً كالمجتمع الجاهلي آنذاك.

ولأهمية الاخلاق ودورها الفاعل في النفوس نرى أن الله سبحانه أثنى على نبيه الأكرم - صلى الله عليه وآله - بحسن الخلق حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ

٦ خمسون درساً في الأخلاق

عظيم ﴿ بينما رسول الله - صلى الله عليه وآله - هو الانسان المعصوم الكامل في كل شيء ورغم هذا الكمال المطلق الله سبحانه وتعالى اختار لمناعمة حبيبه محمد - صلى الله عليه وآله - ومدح نجييه بعبارةٍ وجيزة عالية المضمون سامية المعنى ﴿إنك لعلی خلقٍ عظیم﴾ إذن كم هو عظيم حسن الخلق لكي يختاره الله على جميع الصفات والكمالات النبوية؟

إضافةً إلى ذلك قد أثبتت التجربة على مرّ العصور والأزمان أنّ صاحب الخلق الرفيع يُخلّد بأخلاقه وتترنم به الاجيال مدى الأيام والأعوام. وكذلك أنّ سيئي الأخلاق أصبحوا لعنةً على شفاه التاريخ لوعورة أخلاقهم وغلظة قلوبهم.

ولذا نرى علماءنا أدركوا السرّ في نشر الأخلاق فشمروا عن سواعدهم الشريفة فصنفوا على مرّ القرون تصانيف عديدة، ومن بينهم:

١- أمين الاسلام الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب مجمع البيان من أعلام القرن السادس الهجري المتوفى (٥٤٨)، حيث ألف كتاباً أسماه (الآداب الدينية).
٢- ابن أمين الإسلام رضي الدين أبي نصر الطبرسي ألف كتابه الشهير (مكارم الأخلاق).

٣- ابن صاحب مكارم الاخلاق المتقدمّ أبي الفضل علي الطبرسي المتوفى في أوائل القرن السابع الهجري ألف كتاباً أسماه (مشكاة الأنوار في غرر الأخبار).
٤- الخواجة نصيرالدين الطوسي المتوفى ٦٧٢، ألف كتابه (أوصاف الأشراف).

٥- محمد بن محمد السبزواري من أعلام القرن السابع الهجري ألف كتابه (جامع الأخبار).

- ٦- العلامة محمد باقر المجلسي صاحب البحار ألف كتابه (حلية المتقين).
- ٧- الفيض الكاشاني ألف كتابه (الحجة البيضاء).
- ٨- الشيخ الجليل محمد مهدي النراقي المتوفى عام ١٢٠٩ هـ ألف كتابه (جامع السعادات).

- ٩- السيد عبدالله شبر المتوفى ١٢٤٢ هـ ألف كتابه (الأخلاق).
- ١٠- ومن بين هؤلاء الافذاذ الروحانيين الشيخ المحدث الثقة عباس القمي رحمته الله الذي عُرف بإخلاصه وتقواه وزهده وورعه المولود في عام (١٢٩٤) والمتوفى (١٣٥٩) الذي طالما كتب كتباً قيمة أغنت المكتبة الاسلامية ومن بين ما سطرته أنامله الشريفة هذا الكتاب الاخلاقي المائل بين يدي القارئ المتألف من خمسين درساً في الأخلاق، الذي يُعد من الدروس المختصرة النافعة التي لا يُستغنى عنها، لأنها تُناغم الضمير الحي.

وأصل هذا الكتاب هو اللغة الفارسية ولكن بعد سنوات طويلة تُرجم الى اللغة العربية من قبل إحدى المؤسسات، وبعد ما عثرنا على نسخة مترجمة فيها بعض الأخطاء، فبذلنا جهدنا على تصحيح العبارات وتقطيعها، واستخراج الروايات من مصادرها، وأضفنا لكل درس عدة روايات تنسجم معه وبعد هذا نسأل الله تعالى التوفيق والعمل بهذه الدروس الأخلاقية بحق محمد وآله.

١٨ شوال ١٤٢٤ هـ

نزار نعمة الحسن

قم المقدسة

نبذة عن حياة المؤلف

ولد الشيخ عباس القمي كما يقول في كتابه (الفوائد الرضوية): في سنة ١٢٩٤ هـ في مدينة قم المقدّسة، فبقي هناك أيام طفولته وشبابه وبدأ بتحصيل المقدمات من العلوم الفقهية والأصولية.

وفي سنة (١٣١٦ هـ) ذهب المحدّث القمي الى النجف الأشرف لتكميل دروسه وشارك في حلقات دروس العلماء الأعلام والمدرسين الكبار، ولكن رغبته في علم الحديث كانت أكثر من سائر العلوم فصمّم على السعي في إتقانه وبذل الجهد في تعلّمه. فعليه لازم المحدّث الشهير والعلامة الكبير ميرزا حسين النوري - صاحب كتاب مستدرك الوسائل - وبقي معه يقتبس من مشكاة علمه.

من زهده:

كانت معيشته أقل من حياة كثيرين، كان قباءه من كرباس معطر ونظيف ولا يستبدله لعدة سنين، دون أن يفكر بالتجمل والثروة. لم يستفد من سهم الإمام عليه السلام لمخارجه وكان يقول: إني لست أهلاً وكان محتاطاً في أكله وشربه بأن لا يكون من شبهة.

وفي يوم جاءت إليه امرأتان من شيعة الهند وأرادتا إعطاءه مبلغ (٧٥) روبية هندية شهرياً لمخارجه المنزلية، فلم يقبل وكانت مخارجه آنذاك في كل شهر تساوي

١٠ خمسون درساً في الأخلاق

(٥٠) روية، وقال في جواب أحد أقرباءه المصرّ على قبوله: إنّي لا أدري كيف أجيب يوم القيامة عن هذا المصرف الذي نصرّفه الآن فكيف أثقل حملي بقبولي ذلك المبلغ؟!

من إخلاصه:

وقال لابنه ذات يوم: لما ألّفتُ كتاب (منازل الآخرة) وطبعته جئتُ إلى مدينة (قم) فوصل هذا الكتاب إلى يد الشيخ عبدالرزاق الذي كان يوعظ الناس في حرم السيدة المعصومة عليها السلام قبل صلاة الظهر، وكان أبي محمّد رضا من مريدي الشيخ عبدالرزاق، فكان الشيخ يفتح كتاب منازل الآخرة ويقرأ منه للحاضرين. فجاء أبي ذات يوم إلى البيت وقال لي: يا شيخ عباس ليتك كنت كالشيخ عبدالرزاق فتصعد المنبر وتقرأ لنا هذا الكتاب. أمسكت أن أقول له هذا الكتاب منّي وقلتُ له: ادعُ لي يا أبة أن يوفّقني الله لذلك.

كان المحدث القمي ورعاً مخلصاً متهجداً صالحاً ومؤلفاً ومحدثاً له إهتمام خاص بالكتب ولا سيما الحاوية من علوم آل محمّد عليه السلام من الحديث والدعاء وغيرها فالّف عشرات من الكتب: منها: سفينة البحار، ومفاتيح الجنان، ونفس المهموم، والفوائد الرضوية، ومنتهى الآمال وغيرها.

ومنها هذا الكتاب المائل بين يديك (خمسون درساً في الأخلاق) الذي ألّفه باللغة الفارسية، وقد تُرجم إلى اللغة العربية.

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة على محمّد وآله الطاهرين.
وبعد .. فإنّ كسير الجناحين، وضعيف الحال، والساقط في مصائد الأمانى
والآمال «عباس بن محمد رضا القمي» بصّره الله عيوب نفسه، وجعل مستقبل حاله
خيراً من أمسه، يقول: إنّ هذه الرسالة تشتمل على عدّة كلمات طريفة، ومواعظ
وحكم شريفة. آمل أن لا يتلقّاها أولو الألباب والعقول على أنّها مجرد خطوط
ونقوش، بل كالدرّ الثمين يتخذونها ثابتةً عند آذانهم ليعملوا بمفادها.. ولا ينسوا هذا
المجرم المقصّر من دعائهم له بالخير.

الدرس الأول:

١- الخوف^(١) والخشية^(٢)

أيها العزيز اخشَ الله - عزّ وجلّ - وتنبّه على عظمته وجلاله، وتفكّر دائماً في أحوال يوم الحساب، وتذكّر أنواع العذاب.

تصوّر الموت وصعوبة عالم البرزخ ومؤاخذه يوم القيامة، واتلّ وتدبّر الآيات والأخبار التي وردت في باب الجنّة والنار وأحوال الخائفين من الأخيار^(٣)

(١) قال نصير الدين الطوسي رحمه الله في أوصاف الأشراف ص ٦٣ الفصل الثالث: الخوف: عبارة عن تألم الباطن بسبب توقع مكروه يُمكن حصول أسبابه، أو توقع فوات مرغوب يتعذر تلافيه فإن كانت الأسباب معلومة الوقوع أو مظنونة بالظن الغالب تُسمّى أيضاً انتظار المكروه والتألم يكون كثيراً، وأيضاً قال: (الفرق بين الحزن والخوف: الأوّل على ما فات والثاني مما لم يأت).

(٢) وقال في نفس الكتاب ص ٦٤: الخوف والخشية إن كانا في اللغة بمعنى واحد، إلا أنّ في عرف هذه الطائفة بينهما فرق، فإنّ الخشية مختصة بالعلماء (إنما يخشى الله من عباده العلماء)، والجنّة أيضاً مختصة بهم (ذلك لمن خشي ربه). والخوف منفي عنهم (لاخوف عليهم ولا هم يحزنون).

(٣) قال تعالى في سورة النازعات: (أما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنّة هي المأوى).

وقال تعالى: (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلبٍ مّنيبٍ ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود) (ق): (٥٠) وقال تعالى: (ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) (الرعد/٢١).

١٤ خمسون درساً في الأخلاق

واعلم أنه كلما ازدادت معرفة العبد بعظمة الخالق وجلاله صار أبصر بعيوبه، وازداد خوفه من ربه (١).

فإن الله - عز وجل - نسب الخوف منه وخشيته للعلماء، فقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢).

= وقال تعالى: (فلاتخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) (آل عمران / ١٧٥). وهناك الكثير من الايات في هذا الخصوص، وأما الروايات الشريفة التي ذكرت الخوف والخشية منها:

روى السيزواري في جامع الأخبار ص ٢٥٨ الفصل الرابع والخمسون ح ٦٨٤: (إنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يُصَلِّي وقلبه كالمرجل يغلي من خشية الله تعالى).

وروى الشيخ الصدوق في ثواب الأعمال ص ١٧٦ عن الامام الصادق عليه السلام: «خف الله كأنك تراه فإن كنت لاتراه فإنه يراك، وإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم استترت من المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها فقد جعلته في حدٍّ أهون الناظرين إليك). وروى ابن قتال في روضة الواعظين ج ٢، ص ٤٥١، عن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: (وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمني، فإذا أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنتته يوم القيامة).

وروى الطبرسي في مجمع البيان ج ٣، ص ٥٢٦: (مرَّ الحسن عليه السلام بشابٍ يضحك فقال: هل مررت على الصراط؟ قال: لا، قال: وهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار؟ قال: لا، قال: فما هذا الضحك؟ قال: فمارؤي هذا الضاحك بعد ضاحكاً).

وروى السيد الجليل عبدالله شبر في الأخلاق ص ٢٨٤ ط قم الشريف الرضي: (إنَّ النبي ﷺ كان إذا هبَّت ريحٌ عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج خوفاً من عذاب الله).

وأيضاً روى: (كان عليه السلام إذا دخل في الصلاة يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل).

(١) قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَخَوْفَ).

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.

وقال رسوله - صلى الله عليه وآله - «أنا أخوفكم من الله»^(١).
 وروى الثعلبي بإسناده عن أبي اسحاق عن أبي جحيفة أنه قيل: يا رسول الله
 قد أسرع إليك الشيب؟
 قال - صلى الله عليه وآله - «شييتني هود وأخواتها»^(٢).
 وفي حديث آخر قال - صلى الله عليه وآله - «شييتني هود والواقعة
 والمرسلات وعم يتساءلون»^(٣).
 وإذا كنت لم تر، فقد سمعت حتماً حكايات خوف الأنبياء والمقربين^(٤)،
 وغيوبة أمير المؤمنين - عليه السلام - وتضرع سيد الساجدين ومناجاته.



-
- (١) جامع السعادات ج ١، فصل الخوف المحمود، ص ٢١٨ ط، قم اسماعيليان.
 (٢) تفسير نوا الثقلين ج ٢، ص ٣٢٤ تفسير سورة هود.
 (٣) الخصال ج ١، ص ١٩٩ باب الأربعة.
 (٤) عن السيد عبد الله شير في الأخلاق ص ٢٨٥ قال: (روي إن داود عليه السلام كان يقول في
 مناجاته: (إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها، وإذا ذكرت رحمتك ارتدت
 إليّ روحي، سبحانه إلهي أتيت أطباء عبادك ليداؤوا خطيئتي فكلهم عليك يدلني، فبؤساً
 للقائطين من رحمتك).
 وأيضاً كان عليه السلام يُعاتب في كثرة البكاء فيقول: (دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق
 العظام واشتعال الحشا، وقبل أن يُؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم
 ويفعلون ما يُؤمرون).
 ويحكى أن إبراهيم عليه السلام كان إذا ذكر ما صدر منه يُغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاً في ميل،
 فيأتيه جبرئيل فيقول له: الجبار يقرئك السلام ويقول: هل رأيت خليلاً يخاف خليله؟ فيقول:
 يا جبرئيل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيتُ خلتي.

الدرس الثاني:

٢-الرجاء

أيها الأخ لا تيأس من رحمة الله^(١)، وكن مؤملاً راجياً، واعلم أن الدنيا هي مزرعة الآخرة. وقلب ابن آدم كالأرض، والإيمان كالبذر، والطاعة كالماء الذي يجب أن يروي أرض القلب، ويظهر القلب من المعاصي والأخلاق الذميمة التي هي كالشوك والعود، ويوم القيامة هو موسم الحصاد. فإن من يزرع على هذا النحو، ثم يأمل، فإن رجاءه صادق. وإلا فلن يكون سوى الغرور والحرق.

(١) روى الطبرسي في مشكاة الأنوار ص ١٢٤ - الفصل الرابع - عن الإمام الصادق عليه السلام: «أرج الله رجاءً لا يجركك على معصيته، وخف الله خوفاً لا يؤسك من رحمته». وقيل للإمام الصادق عليه السلام: ما كان في وصية لقمان؟ فقال عليه السلام: كان فيها الأعاجيب وكان أعجب ما فيها إن قال لأبنه: خف الله خيفةً لو جئته ببر الثقلين لعدّبك، وأرجو الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك.

وقال نصيرالدين الطوسي في كتابه أوصاف الأشراف ص ٦٧، ط، بيروت: (لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا).

وروى الكليني في الكافي ج ٢، ص ٥٧، ح ١١، عن الحسين بن أبي سارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو».

وأيضاً قال عليه السلام: «إنه ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء لو وُزن هذا لم يزد على هذا، ولو وُزن هذا لم يزد على هذا».

الدرس الثالث:

٣- الغيرة^(١) والحمية

لاتتسامح يا أخي ولا تقصّر في المحافظة على ما يحتاج الى حارس من دينك وعرضك وأولادك وأموالك^(٢).

واسعَ دوماً لردِّ بدعة المبتدعين، وشبهات منكري الدين الميين، وجدّ واجتهد في ترويج الشرع الميين، ولا تهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا ترفع ستار مهابتك عن النساء من أهل بيتك وحرملك، واسعَ ما استطعت أن لا يرينَ الرجال، وامنعهنَّ عماّ تحتل منه الفساد، كاستماع الناي والموسيقى والغناء، والخروج من المنزل^(٣)، ومصاحبة الغريب، وسماع القصص والحكايات التي تثير الشهوة. وارفق بهنَّ ودارهنَّ، وبالعالم في التفحُّص بأحوالهن.

(١) روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ الله يغار للمؤمنين والمؤمنات فليغر المؤمن أنه من لا يغار فإنه منكوس القلب.

(٢) الغيرة: هي السعي في المحافظة على الدين والنساء، والأولاد، والأموال وهي نتائج الشجاعة وكبر النفس وقوتها: فعلى قدر الحمية تكون الشجاعة وثمرة الشجاعة الغيرة.

(٣) روى الطبرسي في مشكاة الأنوار ص ٢٣٩ في الفصل السادس عن اسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي الحسن الأوّل: للرجل تكون الجارية أو الجوّاري أو المرأة، قال: يقفل عليها الأبواب ويشدد عليهنَّ غيراً منه، قال: قال رسول الله ﷺ: كان إبراهيم عليه السلام غيوراً وأنا أغير منه، وجدعَ الله أنف من لا يغار من المؤمنين.

ويقول أبو يحيى المازني كنتُ جوار أمير المؤمنين عليه السلام مدةً مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فوالله ما رأيتُ لها شخصاً، ولا سمعتُ لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزبارة جدّها رسول الله ﷺ تخرج ليلاً والحسن عن يمينها، والحسين عن شمالها، وأمير المؤمنين أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأخمد ضوء القناديل. فسأله الحسن مرةً عن ذلك فقال: أخشى أن ينظر أحدٌ الى شخص أختك زينب. راجع زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدي رحمته الله.

الدرس الرابع:

٤- كلمة في ذم العجلة^(١)

أي بني أحذر العجلة والتسرع، وتأمل في أفعالك وأقوالك، واعلم أن كل أمرٍ يصدر عن بشرٍ دون تأملٍ فإنه يبعث على الخسران، ويؤدي بصاحبه الى الندم^(٢). كلُّ عجلٍ وخفيف الرأي يصغرُ عند الآخرين، ولا وقع له في قلوبهم ولا اعتبار. قال الفيلسوف سعدى:

إنما الأعمال تأتي بالصبر والتأمل، وليس للمستعجل إلا السقوط، رأيت بأم عيني في الصحراء كيف أن المتأنّي البطيء كان هو السباق، وكيف أن الحصان السريع سقط إعياءً، وكيف أن الجمل أكمل الطريق بتأنٍ^(٣).

(١) العجلة: هي الإقدام على الأمور بسرعة وبأول خاطر يخطر على الانسان من تأني وتفكر في عواقبها. حتى قيل: في العجلة الندامة، وفي التأني السلامة.

وقال رسول الله ﷺ: العجلة من الشيطان والتأني من الله. (جامع السعادات ج ١، ص ٢٧٤، ط النجف).

وقال الله تعالى في سورة القيامة: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٢٠ - ٢١).

وقال في سورة الإسراء: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (١١).

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «العجل يوجب العنار».

(٣) هذا المقطع هو ترجمة شعر للشاعر الإيراني سعدى الشيرازي. وهناك أيضاً قبالة العجلة

المذمومة عجلة ممدوحة بل أكدوا عليها الأئمة عليهم السلام وهذه العجلة في فرص الخير وقضاء

الحوائج وفي أعمال البر. حيث روى الكليني في الكافي ج ٢، ص ١١٤، ح ٤، عن الامام

الباقر عليه السلام: قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ خَيْرٍ مَا يُعَجِّلُ».

وروى في نفس المصدر ح ٩، عن الامام الباقر عليه السلام يقول: «مَنْ هَمَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ فَلْيُعَجِّلْهُ فَإِنَّ

كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ تَأْخِيرٌ فَإِنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَظْرَةً».

وروي عن الامام الصادق عليه السلام: قال: كَانَ أَبِي يَقُولُ: «إِذَا هَمَمْتَ بِخَيْرٍ فَبَادِرْ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا

يُحْدِثُ».

الدرس الخامس:

٥- الغضب

لا تغضب ما استطعت، وزين نفسك بزيينة الحلم.
واعلم أن الغضب مفتاح كل سوء، ولعل شدته تؤدّي بصاحبها الى موت
الفجأة.

وروي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله: «الغضب يُفسد الإيمان كما
يُفسد الخلُّ العسل»^(١).

ويكفيك في مذمة الغضب أن تتأمل في أفعال الشخص حين غضبه^(٢).

(١) الكافي ج ٢، ص ٢٢٩ الحديث ١ من باب الغضب. ط، المكتبة الاسلامية.

(٢) قيل لهارون: إن رجلاً من العرب طلق خمس نسوة، فقال الرشيد: إنما يجوز النكاح على أربع نسوة فكيف طلق خمساً؟ فقل له: كان لرجل أربع نسوة، فدخل عليهن يوماً فوجدهن متنازعات، فقال: إلى مت هذا التنازع؟ ما إخال هذا الأمر إلا من قبلك - يقول لإمرأةٍ منهن - أذهبي فأنت طالق. فقالت له صاحبتها: عجّلت عليها بالطلاق، ولو أدبته بغير ذلك لكنت حقيقاً. فقال لها: وأنت أيضاً طالق!

فقالت له الثالثة: قبحك الله! فوالله لقد كانتا إليك محسنتين، وعليك مفضلتين! فقال: وأنت أيتها المعددة أياديهما طالق أيضاً. فقالت له الرابعة وكانت هلالية وفيها أناة شديدة: ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق! فقال لها: وأنت طالق أيضاً وكان ذلك بمسمع جارة له، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه، فقالت: والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك إلا بالضعف إلا لما بلوه منكم ووجدوه منكم، أبيت إلا طلاق نساءك في ساعة واحدة، فقال لها:

= وأنت أيتها المؤنبة المتكلفة طالق، إن أجاز زوجك! فأجابه الزوج من داخل بيته: قد اجزئت! قد اجزئت! وهكذا طلق خمس نساء.

وقال الإمام علي عليه السلام: «إياك والغضب فأوله جنون وآخره ندم» وقال عليه السلام: «الغضب يردي صاحبه، ويؤدي معاييه».

وروى الكليني في الكافي ج ٢، ص ٢٢٠، ح ١١ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله علّمني، قال: اذهب ولا تغضب، فقال الرجل: قد اكتفيت بذلك، فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح، فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم، ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تغضب» فرمى السلاح، ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدوّ قومه، فقال: يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحةٍ أو قتلٍ أو ضربٍ ليس فيه أثر فعلي في مالي أنا أو فيتموه فقال القوم: فما كان فهو لكم: نحن أولى بذلك منكم، قال: فاصطلح بالقوم وذهب الغضب.

وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار ص ٣٢٣ ط بيروت عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الغضب مفتاح كلّ شر».

وأيضاً روى عن الباقر عليه السلام: «قال الحواريون لعيسى بن مريم: يا معلّم الخير إعلّمنا أي الأشياء أشدّ، قال: أشدّ الأشياء غضب الله، قالوا فيم يتقى غضب الله، قال: بأن لا تغضبوا، قالوا: وما بدو الغضب؟ قال: الكبر والتجبر ومحقرة الناس».

وروى الكليني في الكافي ج ٢، ص ٢٢٩ باب الغضب ح ٢: عن ميسر قال: (ذكر الغضب عند أبي جعفر عليه السلام فقال: إن الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار، فأما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك، فإنه سيذهب عنه رجس الشيطان، وأما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه، فإنّ الرجم إذا مسّت سكنت).

الدرس السادس:

٦- الحلم

الحلم هو عبارة عن التأني وكظم الغيظ وضبط النفس بحيث لا تحرك قوة الغضب الشخص بسهولة، ولا تؤدّي به مكاره الدّهر إلى الاضطراب^(١).
وكظم الغيظ هو عبارة عن إخفاء الغضب وحفظه.
وكلاهما - الحلم وكظم الغيظ - من الأخلاق الحسنة.
ويكفي الحلم مدحاً أنّه ورد في معظم الأحاديث مقروناً بالعلم^(٢)، وقيل:
الحلم ملح الأخلاق. وكما أنّ كل طعام لا يُعرف طعمه إلا بالملح، كذلك لا يحمل الخلق إلا بالحلم. والحلم مقلوب الملح.
وقال أمير المؤمنين، علي - عليه السّلام - فيما قال: «الحلم نور جوهره العقل»^(٣) «الحلم تمام العقل»^(٤) «الحلم نظام أمر المؤمن»^(٥) «الحلم خليل المؤمن

(١) وقيل: الحلم هو ضبط النفس عند هيجان الغضب فيكسر شوكة الغضب من غير ذل وهو صفة تحمل صاحبها على ترك الانتقام ممن أغضبه مع قدرته على ذلك.

(٢) روى الطبرسي في مشكاة الأنوار ص ٢١٩ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ص ٢٨٦، ح ٦٤١٢.

(٤) تصنيف غرر الحكم: ص ٢٨٦، ح ٦٤١١، باب رابطة الحلم والعقل.

(٥) نفس المصدر.

٢٢ خمسون درساً في الأخلاق

ووزيره»^(١) «جمال الرجل حلمه»^(٢) «مَنْ غَاظَكَ بِقَبِيحِ السَّفْهِ عَلَيْكَ فِعْظُهُ بِحَسَنِ
الحلم عنه»^(٣) «إِذَا لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا، فَتَحَلَّمْ»^(٤).



(١) نفس المصدر.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ص ٢٨٥، ح ٦٣٩٢، باب فضيلة الحلم وحقيقته.

(٣) نفس المصدر: ح ٦٤٠٠.

(٤) اصول الكافي: ج ٢، ص ٩٢، ح ٦ باب (الحلم).

وروى الكليني في الكافي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: إِنَّهُ
لِيُعْجِبُنِي الرَّجُلُ أَنْ يَدْرِكَهُ حِلْمُهُ عِنْدَ غَضَبِهِ.

وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار ص ٢١٧، الفصل ١١ عن الامام الرضا عليه السلام قال لرجلٍ من
القميين: «اتقوا الله وعليكم بالصمت والصبر والحلم فإنه لا يكون الرجل عابداً حتى يكون
حليماً».

الدرس السابع:

٧- العفو^(١)

العفو صفة إلهية، ويذكر الله بهذه الصفة في مقام الثناء والحمد له^(٢).
قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - «العفو أحق ما عمِلَ به» «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
العفو» «تعافوا تسقط الضغائن بينكم» «عليكم بالعفو، فَإِنَّ العفو لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا
عِزًّا»^(٣).

وروي عن علي بن الحسين السَّجَّاد عليه السلام قوله: «وَأَنْتَ الَّذِي سَمَّيْتَ نَفْسَكَ
بِالْعَفْوِ فَاعْفُ عَنِّي»^(٤).

اعلم أَنَّ الذَّنْبَ كُلَّ مَا كَانَ كَبِيرًا؛ فَإِنَّ فَضِيلَةَ الْعَفْوِ عَنْهُ سَتَكُونُ أَكْبَرَ^(٥).

(١) وهو ضد الانتقام وهو إسقاط ما يستحقه الغير من قصاص أو غرامة وأيضاً هو محو الشيء وإزالته ويقال عفا عن الذنب أي لم يُعاقب عليه.

(٢) قال تعالى في سورة النساء الآية ٤٣: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾.

(٣) اصول الكافي ج ٢، ص ٨٨، ح ٥ باب العفو.

وقال رسول الله ﷺ: أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى خَيْرِ أَخْلَاقٍ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ.

(٤) الصحيفة السجادية، الدعاء السادس عشر.

(٥) روي أَنَّ مَالِكاً الْأَشْثَر (رضوان الله عليه) مَارَى فِي سَوَاقِ الْكُوفَةِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ خَامٌ وَعِمَامَةٌ مِنْ خَامٍ أَيْضاً.. فَرَأَاهُ شَخْصٌ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الطَّيْشُ فَاحْتَقَرَهُ لثِيَابِهِ الْعَادِيَّةَ هَذِهِ وَرَمَاهُ بِبَنْدَقَةٍ طِينٍ

وقال الشاعر - ما ترجمته نثراً - :
الإساءة الى المسيء أمر سهل إذا كنت رجلاً حقاً أحسن الى من أساء.



= فلم يلتفت إليه الاشتهر ومضى. فقيل له: هل تعرف من رميت؟ قال: لا. قيل: هذا مالك الاشتهر صاحب أمير المؤمنين عليه السلام. وقد كان حديث مالك بين الناس على كل شفة، فارتعد الرجل وتبع الاشتهر ليعتذر إليه، فوجده قد دخل مسجداً وهو قائم يصلي - فلما فرغ من صلاته وقع الرجل على قدميه يقبلهما فقال مالك: ما هذا؟ قال أعذر إليك مما صنعت. قال مالك: لا بأس عليك فوالله ما دخلت المسجد الا لاستغفر لك.

الدرس الثامن:

٨- الرفق

أخي العزيز ابتعد ما استطعت عن الغلظة في القول والفعل، فإنها صفة خبيثة تنفّر الرجال منك، وتخلّ بشؤون حياتك، أما ترى أنّ الله - سبحانه وتعالى - أرشد نبيّه - صلى الله عليه وآله - فقال له: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١).

وعكسها الرفق في القول والفعل، فإنّه محمودٌ في كلّ الأحوال^(٢).

روي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله: «إنّ الرفق لم يوضع على شيءٍ إلّا زانه، ولا نزع من شيءٍ إلّا شأنه»^(٣) «الرفق نصف المعيشة»^(٤) «من أعطي حظّه من الرفق أُعطي حظّه من خير الدنيا والآخرة»^(٥).

وروي عن أمير المؤمنين علي - عليه السّلام - قوله: «عليك بالرفق، فإنّه مفتاح الصواب وسجّية أولى الأبواب»^(٦).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩. وقال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحجر: ٨٨.

(٢) روى الطبرسي في مشكاة الأنوار ص ١٨٠ عن الامام الباقر عليه السلام قال: «إنّ لكل شيءٍ قفلاً وقفل الإيمان الرفق».

(٣) مشكاة الأنوار للطبرسي ص ١٨٠، الفصل الثالث والعشرون.

(٤) اصول الكافي: ج ٢ ص ٩٨، ح ١١، باب الرفق.

(٥) روى الكليني في الكافي ج ٢، ص ٩٧، ح ٩ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أيّما أهل بيتٍ أعطوا حظّهم من الرفق فقد وسّع الله عليهم في الرزق، والرفق في تقدير المعيشة خيرٌ من السعة في المال، والرفق لا يعجزُ عنه شيءٌ والتبذير لا يبقى معه شيءٌ، إنّ الله عزّ وجلّ رفيقٌ يحبُّ الرفق.

(٦) تصنيف غرر الحكم: ص ٢٤٤، ح ٩٦٧، باب فضيلة الرفق. وقال عليه السلام: «الرّفقُ عنوانُ النّبْلِ».

الدرس التاسع:

٩- سوء الخلق

اجتنب يا أخي العزيز سوء الخلق، فإنه يبعدك عن الخالق والمخلوق^(١)،
وسئءُ الاخلاق يعيش معذباً دوماً^(٢) فإنه أسير عدوه الذي لا يتركه أينما حل^(٣).
وقال الشاعر ما ترجمته نثراً:

إذا حاول سيء الأخلاق أن يهرب من البلاد ليستقر في الأفلاك البعيدة؛ فإنه
واقع لا محالة في بلاء سوء خلقه.

أما الأخلاق الحسنة، فإنها أفضل صفات الأولياء^(٤).

قال - تعالى - ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٥).

(١) روى الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي ج ٢، ص ٢٤٢ ح ٢ عن الامام الصادق عليه السلام قال: قال
النبي ﷺ: أبى الله عز وجل لصاحب الخلق السيء بالتوبة قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟
قال: لأنه إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه.

(٢) روى الشيخ الكليني في الكافي: ج ٢، ص ٢٤٢ ح ٤، عن الصادق عليه السلام قال: من ساء خلقه
عذب نفسه.

(٣) أيضاً روى الكليني في الكافي الشريف عن الامام الصادق عليه السلام قال: إن سوء الخلق ليفسد
الايمان كما يفسد الخل العسل.

(٤) روى الكليني في الكافي ج ٢ ص ٨١، ح ٢، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله
ﷺ: ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق.

(٥) سورة القلم: الآية ٤.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْلِساً أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً...»^(١) «أَشْبَهُكُمْ بِي، أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً»^(٢).

وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : «حُسْنُ الْخُلُقِ فِي ثَلَاثٍ: اجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ، وَطَلِبُ الْحَلَالِ، وَالتَّوَسُّعُ عَلَى الْعِيَالِ»^(٣).



(١) اصول الكافي: ج ٢ ص ٨١، ح ١، باب حُسن الخلق.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٧٥ و ٣٨٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٩٤.

الدرس العاشر:

١٠ - العداوة والشتم^(١)

تناء أيها الأخ العزيز عن الحقد والعداوة فإن ثمرتها الندامة والآلام الدنيوية والأخروية، وآثارها الضرب واللعن والطعن، ولا شك في خبائة هذه الصفات، وخاصة الفحش والشتم^(٢).

روي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله: «إن الله حرّم الجَنّة على كلِّ فحّاشٍ بذِيٍّ قليلٍ الحياء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنك إن فتشته لم تجده إلاّ لغية أو شرك شيطان»^(٣).

وروي عنه - صلى الله عليه وآله - أيضاً قوله: «إنّ الله لا يحبّ كل فاحش متفحّش» و«الجَنّة حرامٌ على كلِّ فاحشٍ أن يدخلها»^(٤).

وروي عن محمد بن علي الباقر - عليه السّلام - قوله: «قُولُوا للناس أحسنَ ما تُحِبُّونَ أن يُقالَ لكم، فإنّ الله يُبغضُ اللَّعانَ السَّبَّابَ الطَّعَّانَ على المؤمنين، الفاحش المتفحّش، السائل المُلحِف» و«إنّ الله يحبُّ الحيّ المتعفّف، ويُبغضُ البذيّ السائل

(١) هو مواجهة الآخرين بكلمات قبيحة تؤذي من يسمعهما.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه» الكافي ج ٢، ص ٢٦٨، ح ٢.

(٣) سفينة البحار ج ٢، فحش. وقد استبدل المؤلف كلمة لغية بكلمة بغية أي ولد الزنا.

(٤) كنز العمال ح ٨٠٧٨ و ٨٠٨٥.

الملحّف»^(١).

واعلم أنّ من الفحش والسبّ ما يكون عن مجرّد الغضب، ويكون أيضاً عن مجالسة الأوباش والفُسّاق وأهل الهذيان والفحّاشين، فتصبح تلك عادة جليسهم ويصبح فحّاشاً دون عداوةٍ وغضب.

ولعلك تشاهد الأراذل والأوباش يطلقون الفحش على بعضهم البعض - وخاصة على أمّهاتهم ومحارمهم - من باب المزاح^(٢).
لا شك أنّ مثل هؤلاء الأشخاص بعيدون عن الآدميّة كلّ البعد.



(١) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٨١ وج ٧٩، ص ١١١. وقال رسول الله ﷺ: «الجنة حرام على كل فاحشٍ أنّ يدخلها».

(٢) روي أنّه كان لأبي عبد الله الصادق عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه، فقال صديقه يوماً لعلامة: يا ابن الفاعلة أين كنت؟ فلما سمع الإمام الصادق عليه السلام من صديقه هذا القذف تألم كثيراً ورفع يده ففك بها جبهته ثم قال: (سبحان الله تقذف أمه وقد كنت أرى أنّ لك ورعاً، فإذا ليس لك ورع). قال صديق الإمام جعلتُ فذاك أنّ أمّه سنديّة - يعني من بلاد الهند - فقال الإمام الصادق عليه السلام: (ألا تعلم أنّ لكلّ أمّة نكاحاً، تنحّ عني).

قال الراوي: فما رأيتُ الإمام الصادق عليه السلام يمشي مع صديقه حتى فرّق بينهما الموت. وروي أنّه سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يشتم قمبر خادم الإمام عليه السلام وقد رام قمبر أن يرد عليه فناداه أمير المؤمنين عليه السلام وقال له عليه السلام: (مهلاً يا قمبر دع شاتمك مهاناً ترضي الرحمن وتسخط الشيطان وتعاقب عدوك، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أرضى المؤمن ربّه بمثل الحلم ولا أسخط الشيطان بمثل الضمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه.

الدرس الحادي عشر:

١١- العُجْب

أيها العزيز جنّب نفسك عبادة النفس والعُجْبَ بها^(١)؛ فإنّه ذنب بذرته الكفر، وأرضه النفاق، وماؤه الفساد، وأغصانه الجهل، وأوراقه الضلالة، وثمرته اللعنة والمخلد في الجحيم.

إذا أردت أن تُعجّب بنفسك، فتأمل في حالاتك كيف كانت بدايتك نُطفةً بخِسةً، وآخرك جيفةً قذرة^(٢)، ولست بين تلك وهذه سوى حمّال للنجاسات المتعفّنة، وجوّال بالأوساخ المتعدّدة.

وتأمل في عظمة ذي الجلال، وإلى ذلّ نفسك وافتقارها وعجزها عن البقّ والذباب^(٣)، وضعفها عن دفع الحوادث والآفات. واتخذ من هزيمة النفس شعاراً

(١) روى الكليني في الكافي ج ٢، ص ٢٣٦، ح ٥، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أنت عالمٌ عابداً فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: مثلي يُسأل عن صلاته؟ وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا، قال: فكيف بكأوك؟ قال: أبكي حتّى تجري دموعي، فقال له العالم: فإنّ ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مُدبّل، إنّ المُدبّل لا يصعدُ من عمله شيء». وروي أنّ الله تعالى قال لداود عليه السلام: (ياداود بشرّ المذنبين وأنذر الصّديقين قال: كيف أبشّر المذنبين وأنذر الصّديقين؟ قال: يا داود بشرّ المذنبين أنّي أقبلُ التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصّديقين ألا يعجبوا بأعمالهم فإنّه ليس عبدٌ أنصبّه للحساب إلّا هلك). نفس المصدر: ح ٨.

(٢) روى الطبرسي في مشكاة الانوار ص ٣١٩ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لاحسب كالتواضع، ولا وحدة أوحش من العجب، وعجبتُ للمتكبّر الذي كان بالإمس نطفةً وغداً جيفة».

(٣) روي عن الامام علي عليه السلام أنّه قال: «مسكين ابنُ آدم تقتله الشرقة، وتؤلّمه البقرة، وتنتنه العرقة».

لك، فإنه أفضل الأوصاف، وفوائده في الدنيا والعقبى لا حدَّ لها.
قال - تعالى - : ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

وروي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله: «.. فإنه ليس عبدٌ يعجب بالحسنات إلاَّ هلك»^(٢).

وروي عن أمير المؤمنين علي - عليه السلام - قوله: «إِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثِقِ فُرُصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَحِقَّ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِ» و«العُجَبُ يوجب العثار» و«ثمرة العُجَبِ البغضاء» و«رضاكَ عن نفسك من فساد عقلك» و«المُعْجَبُ لا عقل له» و«العُجَبُ عنوان الحماقة»^(٣).



(١) سورة فاطر: الآية ٨. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾

والمن نتيجة استعظام العمل وهو العجب.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ج ٧٢، ص ٣٢١.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ص ٣٠٨ وبحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٦٣. روي إنَّ النبي عيسى عليه السلام

كان يسيحُ في البلاد فخرجَ في بعض سبحة ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى إلى البحر قال:

بسم الله بصحّةٍ ويقين فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير (حين نظر إلى عيسى وقد

جازه): بسم الله بصحّةٍ يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى فدخله العجب بنفسه فقال:

هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فما فضله عليّ؟ قال: فرسٌ في

الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فأخرجه، ثم قال له ما قلتَ يا قصير؟ قال: قلتُ هذا

روح الله يمشي على الماء، وأنا أمشي على الماء فدخلني من ذلك عجبٌ. فقال له عيسى: لقد

وضعتَ نفسك في غير الموضع الذي وضعكَ الله فيه فمقتك الله على ما قلتَ).

الدرس الثاني عشر:

١٢- التكبر والتواضع

ابذلْ جهدك أن لا تتكبر، فإنَّ المتكبرين يُحشرون يوم القيامة على هيئة صغار النمل؛ فيدوسهم جميع الناس، لأنَّهم لا قيمة ولا قدر لهم عند الله^(١).
قال - تعالى - ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

وروي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله: «إِيَّاكُمْ وَالْكِبَر، فَإِنَّ الْكِبَر يكون في الرجل وإنَّ عليه العباءة»^(٣).

وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - قوله: «إِيَّاكَ وَالْكِبَر فَإِنَّهُ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ وَالْأُمُّ الْعِيُوبِ، وَهُوَ حَلِيَّةُ إِبْلِيسَ»^(٤) و«شر آفات العقل الكبر» و«أقبح الخلق الكبر» و«احذر الكبر، فإنه رأس الطغيان ومعصية

(١) روى الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي: ج ٢، ص ٢٣٥، ح ١١ باب الكبر عن محمد بن سنان، عن داود بن فرقد، عن أخيه قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إِنَّ المتكبرين يُجعلون في صورِ الذرِّ، يتوطأهم الناسُ حتَّى يفرغَ اللهُ من الحساب».

(٢) سورة ص: الآية ٧٣ - ٧٤. وقال تعالى في سورة الزمر / ٧٢: ﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾.

(٣) كنز العمال: ح ٧٧٣٥.

(٤) تصنيف غرر الحكم: ص ٣٠٩ ح ٨١٢٤.

الرحمن» (١).

وروي عن الإمام السجّاد علي بن الحسين عليه السلام قوله: «من قال استغفر الله وأتوب إليه، فليس بمستكبرٍ ولا جبّارٍ. إنّ المستكبر من يُصرُّ على الذنب الذي قد غلبه هواه فيه، وآثر دُنياه على آخرته» (٢).

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قوله: «الكبر أن تغمص الناس، وتسفّه الحقّ» و«يجهل الحق ويطن على أهله» (٣).
وروي عن الصادق أيضاً قوله: «إنّ في جهنّم لوادياً للمتكبرين يقال له سقر؛ شكى الى الله - عزّ وجلّ - شدة حرّه، وسأله أن يأذن له أن يتنفّس، فتنفّس فأحرق جهنّم» (٤).

إذن اسع ما استطعت أن تكون متواضعاً، واعلم أنّ التواضع لا ينقص من شأنك وجلالك شيئاً، بل إنّ يصل بك الى المرتبة الرفيعة.
أما التكبر، فإنّه من خصائص الناقصين والساقطين الساعين الى الكبر لستر نقصهم، لكنهم بكبرهم هذا يُلَوِّحون بقبائحهم ويوضح عيوبهم (٥).

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٣٠٩، وقال عليه السلام: «عجبتُ لمتكبرٍ كان أمس نطفة وهو في غدٍ جيفة».

وقال عليه السلام: «لا يتكبر إلّا وضع خامل».

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٢٧٧.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٣٤ ح ٨ و ٩، وبحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٢١٧.

(٤) الكافي: ج ٢: باب الكبر: ص ٢٣٤، ح ١٠. وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان

في قلبه منقال حبة من خردل من كبر» راجع جامع السعادات: ج ١، ص ٣٤٦.

(٥) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما تكبر إلّا وضع».

الدرس الثالث عشر:

١٣- القساوة

قساوة القلب هي حالة تصيب الآدمي، فلا يتأثر بآلام الآخرين ومصائبهم. ومنشأ هذه القساوة هو غلبة القوة السبعية^(١).

إنّ الكثير من الأفعال الذميمة كالظلم، وإيذاء الآخرين، وعدم إجابة نداء المظلومين، وعدم الأخذ بيد الفقراء والمحتاجين إنما تنتج عن قساوة القلب. وعلاج هذا المرض في نهاية الصعوبة.

وعلى صاحب هذا المرض أن يواظب على فعل ما يترتب عن القلب الرحيم، لتصبح نفسه بذلك مستعدة لتلقي إفاضة صفة الرقة من مبدأ الفيض، ولتغيب بعد ذلك عنه حالة القسوة.

أما إذا لم يعالج نفسه، فليعلم أنه خارج عن حدود الآدمية.

قال - تعالى - ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾^(٢).

وروي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله «لا تُكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تُقسّي القلب. إنّ أبعد الناس من الله القلب

(١) القساوة: هي ملكة عدم التأثر عن تألم أبناء النوع. ولا ريب في كونه ناشئاً من غلبة

السبعية، (جامع السعادت: ج ١، ص ٣٦٩، ط النجف).

(٢) سورة المائدة: الآية ١٣.

القاسي»^(١).

وروي عن أمير المؤمنين - عليه السلام - أنه قال: «ما جفّت الدموع إلّا لقسوة القلب، وما قست القلوب إلّا لكثرة الذنوب»^(٢).

وروي عنه - صلى الله عليه وآله - قوله: «ثلاث يقسّين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان»^(٣).

وروي عن المسيح عيسى ابن مريم قوله «إنّ الدّابة إذا لم تُركب ولم تمتن وتُستعمل، لتصعب ويتغيّر خلقها، وكذلك القلوب إذا لم ترقّق بذكر الموت ويتبعها دؤوب العبادة تقسو وتغلظ»^(٤).

وقال سعدي الشيرازي ما ترجمته نثراً:

بنو آدم أعضاء لبعضهم البعض الآخر فإنهم خلّقوا من جوهر واحد إذا أصاب الدهر إحداها بوجع اضطربت له سائر الأعضاء، فأنت إذا كنت لاتغتم لمحنة الآخرين فاعلم أنّه لا يليق بك أن تُسمى في الآدميين.



(١) كنز العمال: ج ١٨٤٠ و ١٨٩٦٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٥٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٣٧٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٣٠٩.

الدرس الرابع عشر:

١٤- الشره

إِيَّاكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ وَعِبَادَةُ الْبَطْنِ، فَإِنَّ مَفَاسِدَ كَثِيرَةً تَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا كَالذَّلَّةِ وَالْمَهَانَةِ وَالْحَقْمِ وَالْبِلَادَةِ، بَلْ إِنَّ مَعْظَمَ الْأَضْرَارِ الَّتِي تَرِدُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَنَشُؤُهَا الْبَطْنُ^(١).

ولولا جور البطن، لما وقع طيرٌ في فخ، بل لما جهَّز الصياد فخَّه. واعلم أنَّه كما للبطن آفات كثيرة، فإنَّ للجوع ثماراً مفيدةً كثيرةً، فإنَّ الجوع ينور القلب، ويخلو الذهن ويجعله متقدماً، ويبلغ به الإنسان إلى مصافِّ اللذة الحقيقية بالمناجاة، والبهجة بالذكر والعبادة، ويذكرُ بجوع يوم القيامة، ويظهر ذلَّ النفس الأثمارة، وتسهل بالجوع الطاعة والعبادة، ويصبح ابن آدم خفيفَ المؤنة، ويصحُّ بدنه، وتتأى أمراضه^(٢).

إِذْنِ عَلَى عِبَادِ الْبَطْنِ أَنْ يَعَالِجُوا أَنْفُسَهُمْ، وَأَنْ لَا يَحْرِمُوها مِنْ فَوَائِدِ الْجُوعِ، وَأَنْ يَتَّبِعُوا طَرِيقَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَكْبَارِ الْعُلَمَاءِ وَالْعُرَفَاءِ لِلَّهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَا بَلَغَ دُونَ عَنَاءِ الْجُوعِ.

وَلِيخْتَارُوا بَيْنَ مِشَارَكَةِ الْمَلَائِكَةِ بِالْجُوعِ وَمِشَارَكَةِ الْبَهَائِمِ بِالتَّخْمَةِ.

(١) روي عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تُمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ يَمُوتُ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ».

(٢) ذكر السيد عبد الله شبر في الاخلاق: ص ١٥٢ (شهوة البطن) عشرة فوائد للجوع، وجامع السعادت: ج ٢ ص ٤ (الشره) ط، النجف فراجع.

الدرس الخامس عشر:

١٥- حبُّ الدنيا

احذر أيها العزيز من حبِّ الدنيا الدنيَّة فإنَّ «حبَّ الدنيا رأس كل خطيئة»^(١) وطالب الدنيا فاسد عمله وهباء.

الدنيا هي عبارة عمّا للعبد حظ منه بعد موته، أي ما ينفعه بعد موته. والدنيا التي يريد العبد من طلبها تحصيل الأجر والثمرة الأخروية، فإنَّها غير الدنيا المذمومة، كما أنَّه يستثنى من الدنيا المذمومة المقدار الذي يستهلكه العبد للبقاء حيّاً وتأمين معاشه وعياله وحفظ ماء وجهه وجماله الضروري؛ بل إنَّ مثل هذا التحصيل يعدّ من الأعمال الصالحة^(٢).

واعلم أنَّ الدنيا ممثِّلها كمثِّل ماء البحر، كلما استسقى منها الظامىء ازداد عطشاً.. حتى يموت^(٣).

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢٣٨، ح ١، ولكن هكذا ورد الحديث عن الامام الصادق عليه السلام: «رأس كلِّ خطيئة حُبُّ الدُّنيا».

(٢) روى السيد عبدالله شبر في الأخلاق: ص ٢١١ عن الامام الباقر عليه السلام: «مَنْ طَلَبَ الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا اسْتَعْفَافاً عَنِ النَّاسِ وَسَعياً عَلَى أَهْلِهِ وَتَعْطُفاً عَلَى جَارِهِ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ وَوَجْهَهُ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ».

(٣) اخرج الكليني في الكافي ص ٨١٠ ج ٢، ح ٢٤ واليسد عبدالله شبر في الاخلاق: ص ٢١٥ عن النبي عيسى عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «مِثْلُ طَالِبِ الدُّنْيَا مِثْلُ شَارِبِ الْبَحْرِ كَلَّمَا اِزْدَادَ شَرْباً اِزْدَادَ عَطْشاً حَتَّى تَقْتُلَهُ».

وهي كالحية ظاهرها ناعم ومنقوش وزاهٍ، وباطنها مليء بالسّم القاتل^(١)، ومفسدها دون حدٍّ.

وكان فيما أوحى الله - تعالى - الى موسى - صلى الله عليه وآله - : «اعلم أن كلَّ فتنةٍ بذرها حبّ الدنيا»^(٢).

وروي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله «أكبر الكبائر حبّ الدنيا» و«حبّ الدنيا أصل كل معصية وأوّل كل ذنب»^(٣).

وروي عن أمير المؤمنين علي - عليه السّلام - قوله «حبّ الدنيا رأسُ الفتن وأصلُ المحن» و«رأس الآفات الوله بالدُّنيا» و«إنك لن تلقى الله - سبحانه - بعمل أضّرّ عليك من حبّ الدنيا» و«إنّ الدُّنيا لمفسدة الدين ومسلبة اليقين»^(٤).



(١) روى السيد عبدالله شبر في الأخلاق: ص ٢١٤ عن أمير المؤمنين عليه السلام كتب الى سلمان: «مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها، فأعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما أبقت من فراقها، وكن أسر ما تكون منها أحذر ما تكون منها، فإنّ صاحبها كلما اطمأنّ بها الى سرور أشخصته عنه مكروماً والسلام.

وروى الكليني في الكافي ج ٢، ص ١١٠، ح ٢٢ عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: إنّ في كتاب علي صلوات الله عليه: إنّما مثل الدنيا كمثل الحية ما ألين مسّها وفي جوفها السّم النافع، يحذرّها الرجل العاقل، ويهوى إليها الصبيّ الجاهل.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٣٥١.

(٣) كنز العمال: ح ٦٠٧٤ وتبيين الخواطر: ص ٣٦٢.

(٤) تصنيف غرر الحكم: ص ١٣٩ باب الدنيا وحبّها. ط: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية.

الدرس السادس عشر:

١٦- الفقر

أيها الفقير لا تغتم من فقرك، فإن زينتته للمؤمن خيرٌ من زينة اللجام للفرس، وكلّ الناس مشتاقون للجنة؛ والجنة مشتاقة للفقراء^(١).

ويكفي الفقير تسليّة لفؤاده قول السيد البشير النذير - صلى الله عليه وآله -: «الفقر فخري»^(٢) و«الفقر فخري وبه أفخر» و«اللهم أحييني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين»^(٣).

وجاء في الحديث «من سعى على عياله من حلّه فهو كالمجاهد في سبيل الله، ومن طلب الدنيا حلالاً في عفاف كان في درجة الشهداء»^(٤).

وروي عن الامام الصادق - عليه السلام - «إن الله - جلّ ثناؤه - ليعتذر الى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الأخ الى أخيه، فيقول: وعزّي وجلالي ما

(١) روى العلامة المجلسي في البحار ج ٧٢، ص ٤٨، ح ٥٨، عن رسول الله ﷺ: «الفقراء

ملوك أهل الجنة، والناس كلّهم مشتاقون الى الجنة، والجنة مشتاقة الى الفقراء».

(٢) جامع الأخبار للسبزواري من أعلام القرن السابع، ص ٣٠٢ الفصل (٦٧)، والأخلاق للسيد

عبدالله شبر: ص ٢٢٠، الباب (١٢).

(٣) مشكاة الأنوار للطبرسي ص ١٣٣، الفصل السادس، بحار الأنوار: ج ٦٩، باب ٩٤ فضل

الفقر والفقراء.

(٤) المحجة البيضاء ج ٣، فضيلة الحلال ومذمة الحرام، والأخلاق للسيد عبدالله شبر ص ٢١١

الباب العاشر، وجامع السعادات: ج ٢، ص ١٩، ط النجف.

٤٠ خمسون درساً في الأخلاق

أحوجتك في الدنيا من هوانٍ كان بك عليّ، فارفع هذا السجف لانظر الى ما عوّضتك من الدنيا، قال: فيرفع فيقول: ما ضرّني ما منعتني مع ما عوّضتني»^(١).

وروي عن أمير المؤمنين علي - عليه السّلام - «ملوك الدنيا والآخرة الفقراء الراضون»^(٢).



(١) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ص ٣٦٦، ح ٨٢٤٣، القسم الخامس، الاقتصاد، وقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بملوك أهل الجنة؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: كلُّ ضعيفٍ مستضعفٍ أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره»، راجع جامع السعادت: ج ٢، ص ٨٣، ط النجف.

الدرس السابع عشر:

١٧-السؤال

أخي.. ارفع يديك ما استطعت الى ربك واطلب منه حاجتاك، ولا تُرقِ ماء وجهك عند اللؤماء من أجل لقمة العيش^(١).
واعلم أن لباس السلطان - وإن كان عزيزاً - أهون من لباس البائسين الخلق المهترى الذي نكتسيه.
وطعام الأغنياء المرفقين - وإن كان لذيذاً - ألدُّ منه الكسرة اليابسة التي تتناولها.
أيها العزيز لا تضطرب لقلّة الدراهم، ولا تبع دينك بدُّنياك، ففي يوم الجزاء العزّة للدين لا للدينار، وبالدين الرُّقي لا بالدينار.
قال الحكماء: لو كان ماء الحياة يباع بماء الوجه لما اشتراه العالم، فالموت بالمرض خيرٌ من الحياة بالذلة.

(١) قال رسول الله ﷺ: «ليس الغني عن كثرة العروش، وإنما الغني غني النفس» وقال ﷺ: لأعرابي طلب منه موعظة: «إذا صليت فصل صلاة مودّع، ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غداً، واجمع اليأس عما في أيدي الناس».
وقال الامام الصادق عليه السلام: «شيعتنا من لا يسأل الناس، ولو مات جوعاً».
وقال عليه السلام: «ثلاث هن فخر المؤمن وزينته في الدنيا والآخرة: الصلاة في آخر الليل، ويأسه مما في أيدي الناس، وولايته للامام من آل محمد عليه السلام» راجع جامع السعادات: ج ٢، ص ١٠٧ (الاستغناء عن الناس).

إذن على الله توكل، واقطع طمعك في الخلق، ولا تعتن بما في أيديهم^(١).
 قال - تعالى -: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا﴾^(٢).
 وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - «يا أبا ذرٍّ إيتاك والسؤال فإنه ذلٌّ حاضرٌ، وفقرٌ متعجلٌ، وفيه حسابٌ طويل يوم القيامة»^(٣).
 وروي عنه - صلى الله عليه وآله - أيضاً: «يا عليّ لئن أدخلَ يدي في فم التّين الى المرفق أحبَّ إليّ من أن أسألَ مَنْ لم يكن ثمَّ كان»^(٤).
 وروي عن أمير المؤمنين علي - عليه السّلام - قوله: «السؤال يُضعف لسان المتكلّم، ويكسر قلب الشجاع، ويقف الحرُّ العزيز موقف العبد الذليل، ويذهب بهاء الوجه، ويحق الرزق» و«التقرّب الى الله - تعالى - بمسألته وإلى الناس بتركها» و«شيعتي من لم يهرّ هريّر الكلب، ولم يطمع طمع الغراب، ولم يسأل الناس ولو مات جوعاً» «المسألة مفتاح الفقر»^(٥).

(١) روى الكليني في الكافي: ج ٢، ص ١١٩، ح ٢، عن الصادق عليه السلام قال: «إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربّه شيئاً إلّا أعطاه فليأْس من الناس كلّهم ولا يكون له رجاء إلّا عند الله، فإذا علم الله عزّ وجلّ ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئاً إلّا أعطاه».

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٥٩ و ٦٠.

(٤) مكارم الأخلاق: ص ٤٣٣ ط، بيروت الأعلمي، وبحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٥٩ و ٦٠.

(٥) وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: «ما من عبدٍ فتح على نفسه باباً من المسألة إلّا فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر»، وقال ﷺ: «ما فتح رجلٌ على نفسه باب مسألة إلّا فتح الله عليه باباً من الفقر» راجع جامع الأخبار: ص ٣٧٩.

وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص ١٨٥ عن الامام الصادق عليه السلام قال: «طلب الحوائج الى الناس استلاب للعزّة ومذهبة للحياء، واليأس مما في أيدي الناس عزٌّ للمؤمن في دينه والطمع هو الفقر الحاضر».

الدرس الثامن عشر:

١٨-الحرص^(١)

أيها العزيز ابتعد عن الحرص وانبذه، فإنه صحراء مترامية الأطراف، أينما توجهت فيها لا تبلغ لها حداً، وهو بحر لانهاية له، ولا تبلغ فيه الأعماق مهما كنت غواصاً. سيء الحظ من ابتلي بالحرص فإنه يضل ثم يهلك وتصعب نجاته. روي عن رسول الله محمد - صلى الله عليه وآله - قوله: «الحريص محروم، وهو مع حرمانه مذموم في أي شيء كان، وكيف لا يكون محروماً وقد فرّ من وثاق الله»^(٢).

وعن أمير المؤمنين علي - عليه السلام - قوله: «الحرص أحرّ من النار» و«الحرص ينقص قدر الرجل ولا يزيد في رزقه» و«قتل الحرص راكمه» و«الحريص أسير مهانة لا يفك أسره» «الحريص فقير وإن ملك الدنيا بحذاقها»^(٣).

(١) قال التراقي في جامع السعادات: ج ٢ ص ١٠٠: الحرص، هو معنى راتب في النفس، باعث على جميع ما لا يحتاج اليه ولا يفيد من الأموال، من دون أن ينتهي الى حدٍ يكفي به وهو أقوى شعب حب الدنيا وأشهر أنواعه، ولاريب في كونه ملكة مهلكة وصفة مضلة، بل بادية مظلمة الارزاء والأطراف، وهاوية غير متناهية الأعماق والأكناف، من وقع فيها ضلّ وباد، ومن سقط فيها هلك وما عاد.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ١٦٥.

(٣) الأخلاق والآداب الاسلامية: ص ٣٨٤، ط، مكتبة الأمين قم عن غرر الحكم.

وروي عن الباقر محمد بن علي عليه السلام قوله: «مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز، كلما ازدادت من القز على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج...»^(١).
والقناعة صفة تناط اليها كل الفضائل حتى راحة الدنيا والآخرة منها^(٢).
فعشرة رجالٍ قد تجمعهم سُفرةٌ واحدة، بينما الكلبان يتصارعان على الجيفة، وهكذا الحريص يبقى جائعاً وإن مُلِّك الدنيا، بينما القانع تشبعه كِسرةُ الخبز.



(١) الكافي ج ٢: باب حب الدنيا والحرص عليها ص ٣١٦، ح ٧. وذيل الحديث (حتى تموت غمّاً) وجامع السعادات: ج ١، ص ٣٥٦، باب الحرص، ط، النجف.
وقال رسول الله ﷺ: «يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان: الحرص، وطول الأمل» وقال ﷺ: «منهومان لا يشبعان: منهوم العلم، ومنهوم المال» راجع جامع السعادات باب الحرص.
(٢) قال النراقي في جامع السعادات: ج ٢، ص ١٠١: القناعة ضد الحرص، وهي ملكة للنفس توجب الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال، من دون سعي وتعب في طلب الزائد عنه، وهي صفة فاضلة يتوقف عليها كسب سائر الفضائل، وعدمها يؤدي بالعبد الى مساوىء الأخلاق والردائل.

الدرس التاسع عشر:

١٩- الطمع^(١)

الطمع توأم الحرص، وضدّها الاستغناء عن الناس.

وقد روي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله: «الطمع يُذهب الحكمة من قلوب العلماء»^(٢).

وعن أمير المؤمنين علي - عليه السلام - قوله: «قد عزّ مَنْ قنع» و«من طمع ذلّ وتعنّى» و«قليل الطمع يُسد كثير الورع» و«ما هدم الدّين مثل البدع، ولا أفسد الرجل مثل الطّمع»^(٣).

وعن علي بن الحسين السّجاد - عليه السلام - قوله: «رأيتُ الخير كلّهُ قد اجتمع في قطع الطّمع عمّا في أيدي الناس»^(٤).

(١) الطمع هو: التوقع من الناس في أموالهم وأنّ يعطوه ما عندهم ويكون ذليلاً مهيناً عندهم وهو من الرذائل المهلكة.

وروي موسى بن سلام عن سعدان عن الصادق عليه السلام قال: قلتُ له: ما الذي يُنبئُ الايمان في العبد؟ قال: الورع، والذي يُخرجه منه؟ قال: الطمع.

(٢) كنز العمال: ح ٧٥٧٦.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ص ٢٩٧ باب ذمّ الطمع.

(٤) الكافي: ج ٢ باب الطمع ص ٢٤١، حديث ٣، وقال الامام الباقر عليه السلام: «بئس العبدُ عبدٌ له طمعٌ يقوّدُهُ، وبئس العبدُ عبدٌ له رغبةٌ تدلّهُ».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «استغنِ عمن شئت تكن نظيره، وارغب الى مَنْ شئت تكن أسيره، واحسنْ الى مَنْ شئت تكن أميره».

الدرس العشرون:

٢٠- البخل^(١)

أيها العزيز.. احذر البخل وفرّ منه، فإنّ البخل ذليلٌ في أعين الناس ولا قيمة له.

ويكفي في ذمّ البخل أنّ البخل ليس له صديق في العالم، بل كلّ الناس حتى أولاده هم أعداؤه، وأهله وعياله ينتظرون لحظة موته ليخلعوا عنهم لباس الذلّ، ويستبدلوه بلباسٍ جديدٍ من خير الألبسة.

قال بعض العلماء: «ذهب البخل يخرج من التراب حينما يدخل البخل في التراب».

لا أحد يذكر البخل بعد موته، فكلُّ من لا يُطعم خبزه في حياته لا يُذكر اسمه بعد مماته.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾^(٢).

وروي عن أفضل الرسل وأعزّهم محمّد - صَلَّى الله عليه وآله - قوله: «البخل

(١) البخل: هو الإمساك حيث ينبغي البذل. وقال رسول الله ﷺ: إياكم والشح، فإنّه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال ﷺ: «البخل شجرة تنبت في النار، فلا يلج النار إلا ببخل» وللتفصيل راجع جامع السعادات ج ٢ في ذم البخل.

(٢) سورة محمّد ﷺ: الآية ٣٨.

بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الناس، قريبٌ من النار» و«أقلُّ الناس راحةً البخل»^(١).
وروي عن أمير المؤمنين علي - عليه السّلام - قوله: «البُّخل جِلْبَابُ
المسكنة» و«البخل خازنٌ لورثته» و«النَّظَرُ الى البخل يُقَسِّي القلب» و«أبخل
الناس من بخل على نفسه بماله وخلفه لورّاثته»^(٢).



(١) جامع السعادات: ج ٢، ص ١١٠ فصل ذمّ البخل، بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٣٠٠ و ٣٠٤.
وقال رحمه الله: «لا يدخل الجنة بخل، ولا خب، ولا خائن، ولا سيء الملكة» وقال رحمه الله:
«لا ينبغي خصلتان في مسلم، البخل وسوء الخلق» راجع مشكاة الأنوار للطبرسي: ص ٢٢٣
الفصل الرابع.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ص ٢٩٢، باب ذم البخل والبخل. بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٥٣.
وروي الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص ٢٣٥ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «البخلُ عار والجبن
منقصة، كُنَّ سمحاً ولا تكن مبدراً، وكن مقدراً ولا تكن مقتراً ولا تستحي من إعطاء القليل،
فإنَّ الحرمان أقلُّ منه، عجبْتُ للبخل يستعجل الفقر الذي هرب منه ويفوته الغنى الذي إياه
طلب يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء. البخلُ جامع
لمساوىء العيوب وهو زمام يُقاد به الى كلِّ سوء».

قيل: استأذن رجلٌ على بعض البخلاء وقد أهدي له تين مع أوّل أوانه. فلما أحسَّ البخل
بدخوله تناول الطبق فوضعه تحت السرير وبقيتْ يده معلقة. ثم قال للرجل ما جاء بك هذا
الوقت؟

قال: ياسيدي. مررتُ الساعة بدار فلان، فسمعتُ جاريته تقرأ لحناً ما سمعتُ قط أحسن منه.
فلما علمتُ من شدة محبتك للقرآن وسماعك للألحان، حفظته وجئتُ لأقرأه عليك.
قال: فهاته.

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، والزيتون، وطور سنين.

فقال: ويلك! أين التين؟

قال: تحت السرير.

الدرس الحادي والعشرون

٢١- السخاء^(١)

السخاء عكس البخل، والسخاء، من معالي الأخلاق، والسخي ممدوح أهل الآفاق، ومحبوب أهل الأرض والسماء، فإنَّ اسمَ حاتم الطائي على الرغم من توالي الدهور ما زال جارياً على الألسنة بالمدح والثناء. وفضل هذه الصفة ظاهر وواضح، والمتَّصف بها محبوب من الخالق والمخلوق ومستحسنهما.

ويكفي في مدح هذه الصفة أنَّ الباري - عزَّ وجلَّ - وصف نفسه بها، وكم من عطيةٍ نزلت منه - تعالى - عند سماعه نداء عبده «يا جواد يا كريم». وروي عن خير المرسلين محمد - صلى الله عليه وآله - أنه قال: «إنَّ الله يحبُّ الجواد في حقِّه»^(٢).

(١) السخاء: (ضد البخل، وهو من ثمره الزهد، كما أنَّ البخل من ثمره حبِّ الدنيا، ولا ريب في كون الجود والسخاء من أشرف الصفات ومعاني الأخلاق، وهو أصل من أصول النجاة، وأشهر أوصاف النبيين، وأعرف أخلاق المرسلين) جامع السعادات: ج ١، ص ٣٦٥، ط، النجف.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١٣٩، وقال عليه السلام: «الجنة دار الأسخياء»، وقال الامام الصادق عليه السلام لبعض جلسائه: «ألا أخبرك بشيءٍ تقرَّب به من الله وتقرَّب من الجنة وتباعد من النار؟ فقال: بلى. فقال: (عليك بالسخاء). وقال عليه السلام: «السخاء شجرة تنبت في الجنة، فلا يلج الجنة الاَّ سخي».

وروي عن وصيّه علي أمير المؤمنين قوله: «جود الفقير يُجِلُّه، وبُخل الغنيّ يُذِلُّه» و«جود الرجل يُحِبُّه الى أصداده، وبخله يُبْغِضُه الى أولاده» «السخاء خُلِقَ الأنبياء» و«أشجع الناس أسخاهم» و«السخاء ثمرة العقل» و«السخاء سِتر العيوب» و«السخاء يُكسب المحبّة ويُزَيِّن الأخلاق»^(١).

تكملة لطيفة

أيها العزيز.. إنما كان المال لراحة العيش والعمر، ولم يكن العمر لجمع المال. سئِلَ عاقلٌ: مَنْ هو حسن الحظ ومن هو سيئه؟ فقال: حسن الحظ مَنْ أكل وزرع، وسيء الحظ من مات فأخذ ماله وانقطع ذكره.

وقد نصح موسى الكليم - عليه السّلام - قارون، فقال له: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(٢) فلم يُصْغِ لنصيحة نبيّ الله، فكانت عاقبته ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾^(٣).

وقال بعض العلماء: ماتَ إثنان في الحسرة: الأوّل مَلَكٌ ولم يأكل، والآخر عِلِمٌ ولم يعمل.

بعد أن علمت قدر فضيلة السخاء، فاعلم أنّه على نوعين من العطاء والإنفاق:

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٧٧ ط، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية.

(٢) سورة القصص، الآية ٧٧.

(٣) سورة القصص، الآية ٨١.

٥٠ خمسون درساً في الأخلاق

الأول: الإنفاق الواجب كالخمس والزكاة ونفقة العيال وما شابه (١).
والثاني: العطاء المستحب كالصدقة والهدية والضيافة والحقّ المعلوم وحقّ الحصاد، وإعطاء القرض، وإعانة المسلمين، وبناء المسجد والمدرسة، وحفر قنوات الماء، وطبع الكتب العلمية الدينية ونحو ذلك من الصدقات الجارية والباقيات الصالحات.

ملاحظة:

الحقّ المعلوم: من غير الزكاة، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله، يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته، وسعة ماله، فيؤدّي الذي فرض على نفسه إن شاء في كل يوم، وإن شاء في كل جمعة، وإن شاء في كل شهر (٢).
حقّ الحصاد: هذا من الصدقة يعطى المسكين القبضة بعد القبضة ومن الجواد الحفنة (ملؤ الكف) بعد الحفنة حتى يفرغ.
ويُعطى الحارس أجراً معلوماً، ويترك من النخل معافاة وأمّ جعرور، ويترك للحارس يكون في الحائط العنق والعذقان والثلاثة لحفظه إيّاه (٣).



(١) الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص ٢٣٣: (سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ حَدِّ السَّخَاءِ فَقَالَ: تَخْرُجُ مِنْ مَالِكَ الْحَقُّ الَّذِي أَوْجِبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ فَتَضَعُهُ فِي مَوْضِعِهِ) وَقَالَ عليه السلام: «السَّخِيُّ الْكَرِيمُ الَّذِي يَنْفَقُ مَالَهُ فِي حَقٍّ».

(٢) الكافي: ج ٣، كتاب الزكاة، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق، ح ٨ عن الصادق عليه السلام، وجامع السعادات: ج ٢، ص ١٥٧، ط النجف.

(٣) الكافي: ج ٣، كتاب الزكاة، باب الحصاد، ح ٢ عن الإمام الباقر عليه السلام.

الدرس الثاني والعشرون:

٢٢- اجتناب الحرام

تجنّب المال الحرام، فإنّه أشدّ أنواع المهلكات، وأعظم موانع الوصول الى السعادات.

وأكثرُ الناس الذين حُرِّموا الفيوضات إنّما حرموا بأكلهم المال الحرام. نعم .. أين القلب الذي نشأ على لقمة الحرام من قابليّاته التي تنشأ من عالم القدس؟

إذن على طالب النجاة أن يجدّ في تحصيل الحلال، وأن يعصم يده وبطنه ويعفّهما عن كلّ طعامٍ حرامٍ كان نتاجاً للظلم والعدوان والخيانة في الأمانة والغدر والمكر والحيلة والغصب والسرقة والاحتكار والرشوة والربا وقرائنها، وأن يلبس لباس الورع والتقوى ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾^(١).

وروي عن أعزّ المرسلين محمد - صلى الله عليه وآله - قوله: «من أكل لقمةً من حرامٍ لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة» و«إنّ الله - عزّ وجلّ - حرّم الجنة جسداً غُذي بحرامٍ»^(٢) و«إذا وقعت اللقمة من حرامٍ في جوف العبد لعنه كلّ ملكٍ في السماوات

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٦.

(٢) كنز العمال: ح ٩٢٦١ و ٩٢٦٦. وقال عليه السلام: «إنّ لله ملكاً على بيت المقدس يُنادي كلّ ليلة: مَنْ أكل حراماً لم يُقبل منه حرف ولا عدل» أي نافلة ولا فريضة» راجع جامع السعادات: ج ٢، ص ١٦٦ باب طلب الحلال.

٥٢ خمسون درساً في الأخلاق

والأرض» و«العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل»، و«لرُدِّ دانيٍّ من حرام يعدل عند الله سبعين ألف حجة مبرورة»^(١).

وروي عن خير الأوصياء أمير المؤمنين علي - عليه السلام - قوله: «ما نهى الله - سبحانه - عن شيءٍ، إلّا وأغنى عنه» و«بئس الطعام الحرام»^(٢).



(١) بحار الأنوار: ج ١٠٣.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ص ٣٥٥، ح ٨١٠٣. وروي عنه عليه السلام: «الحرامُ سُحتٌ» وقال: «بئس الكسبُ الحرامُ» وقال: «مِنَ الشَّقَاءِ احتقَابُ الحرامِ».

الباب الثالث والعشرون:

٢٣- التكلم بما لا يعني

أخي.. اسع ما استطعت أن تُزَيِّنَ شفيتك بالسكوت^(١)، ولا تلوّثها في الخوض بالباطل والكلام غير المفيد والفضول، فإنّ في ذلك مضيعة للوقت، الوقت هو رأسمال التجارة والنجاة.

نعم يا أخي إنّ وقت التهيؤ لسفر الآخرة هو أقصر من أن نضيّعه نحن المسافرين في جلسات الفراغ والكلام غير المفيد، فإنّ حزم الأمتعة بعد تجميعها أولى.

أولم يصل أسماعك قول حجة الله عليك أمير المؤمنين علي - عليه السلام -: «آه من قلة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد» و«أما لو أذن لهم (أهل القبور) في الكلام لأخبروكم أنّ خير الزاد التقوى»^(٢).

وقال أيضاً: «الكلام كالدواء قليله ينفع، وكثيره قاتل» و«العاقل لا يتكلم إلاّ بحاجته أو حُجّته»^(٣).

(١) قال رسول الله ﷺ: «سكوت اللسان سلامة الإنسان» وقال ﷺ: «بلاء الإنسان من اللسان» وقال: «لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» وللتنصيل راجع كتاب جامع الأخبار للسبزواري: ص ٢٤٧، الفصل ٥٢.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم ٧٧ - ٢، ١٣٠ - ٣.

(٣) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١١، ح ٤٠٨١، وقال ﷺ: «المرء مخبوء تحت

وقال لقمان لابنه «يا بني إن كنت زعمت أن الكلام من فضة، فإن السكوت من ذهب»^(١).

وقال داوود لسليمان عليه السلام: «يا بني عليك بطول الصمت إلا عن خير، فإن الندامة على طول الصمت مرة واحدة خير من الندامة على كثرة الكلام مرات»^(٢).

وقال الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً ما دام ساكناً، فإذا تكلم كتب محسناً أو مُسيئاً»^(٣).



= لسانه، فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة، فإن كان لله وفي الله فتكلم وإن كان غير ذلك فالسكوت خير منه» راجع الاخلاق للسيد عبدالله شبر ص ١٥٧. الباب الثالث، ط الشریف الرضي.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٩٣، ح ٦، وبحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٧٨ و ٢٩٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٧٨ و ٢٩٩، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ لَمْ يَحْسَبْ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ وَحَضَرَ عَذَابُهُ».

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٩٥، ح ٢١، بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٠٧، وقال الامام الباقر عليه السلام: «إنما شيعتنا الخرس».

وقال رسول الله ﷺ: «نَجَاةُ الْمُؤْمِنِ فِي حِفْظِ لِسَانِهِ» راجع الكافي: ج ٢ ص ٩٢، باب الصمت وحفظ اللسان.

الدرس الرابع والعشرون:

٢٤- الحسد (١)

أيها الأخ العزيز إياك والحسد، فإنَّ الحسود يُبتلى في الدُّنيا والآخرة بعذابٍ شديدٍ، ولا يخلو من غمٍّ أو ألمٍ.
ولو لاحظت جيِّداً لرأيتَ أنَّ الحسود في مقام العناد مع ربِّ العباد، وهو يرى الله جاهلاً - والعياذ بالله - أو أنه يرى نفسه أعلم بمصالح العباد ومفاسدهم، وكلا الاعتقادين كُفِّرَ وجحود، وكلاهما بلاء للرجل الحسود.
إذن كن محسوداً ولا تكن حاسداً، فإنَّ ميزان الحاسد خفيف دائماً لحساب ميزان المحسود (٢).

(١) الحسد: هو تمنى زوال نعم الله تعالى عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح، فإنَّ لم ترُدَّ زوالها عنه ولكن تُريد لنفسك مثلها فهو (غبطة) ومنافسة، فإنَّ لم يكن له فيها صلاح وأردتَ زوالها عنه فهو (غيرة) (راجع جامع السعادات: ج ٢ ص ١٩٢، باب الحسد).
(٢) روي عن الامام الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة (باب ٥١) قال: الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضرَّ بالمحسود، كأبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة، ولآدم الاجتباء والهدى والرفع الى محلِّ حقائق العهد والاصطفاء، فكن محسوداً ولا تكن حاسداً، فإنَّ ميزان الحاسد أبداً خفيف بنقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم، فماذا ينفع الحسد الحاسد، وماذا يفرُّ المحسودُ الحسد، والحسدُ أصله من عَمى القلب والجحود بفضل الله تعالى، وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد، وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً، ولا توبة للحاسد، لأنَّه مصرٌّ عليه

روي عن خير الخلق محمد - صلى الله عليه وآله - قوله: «أقل الناس لذة الحسود»^(١).

وعن أمير المؤمنين علي - عليه السلام - أنه قال: «الحسود لا يسود» و«الحسد حبس الروح» و«لله در الحسد فما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله» و«مارأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد»^(٢).

وإن شئت أذهب وتأمل حال الحسود لترى أن اضطرابه وحسرتة لا يليقان بأيام الدنيا المحدودة، فهو يذهب ضحية حسد عبيد الله، وما أن تطرف عينك عدة مرات حتى ترى الحاسد والحسود قد أكلهما الدود تحت الثرى، وأحى اسمهما من صفحة التاريخ^(٣).



= معتقده به مطبوع فيه، يبدو بلا معارض به ولا سبب، والطبع لا يتغير عن الأصل، وإن عولج». راجع جامع السعادات باب الحسد.

(١) معاني الأخبار: ص ١٩٥، ح ١. وروي عن الامام الصادق عليه السلام: «ليس لبخيل راحة ولا لحسود لذة».

(٢) تصنيف غرر الحكم ص ٢٩٩، في ذم الحسد. وقال عليه السلام: «الحسود لا يبرأ».

(٣) ينقل التاريخ أن الحجاج أستدعى رجلين أحدهما أناني حسود والآخر بخيل وقال لهما: ليطلب كل منكما طلبه فإني أعطيه ما طلب وأعطي صاحبه ضعف طلبته فلو أن أحدهم طلب (١٠٠٠) دينار أعطي صاحبه (٢٠٠٠) دينار فليبدأ أحدهما بالطلب فذب التردد في نفسيهما إلى أن تقدم الأناني وقال: أطلب أن تفقأ عيني اليسرى، فقال الحجاج لماذا؟ فرد الأناني الحسود لكبي تعطي صاحبي ضعف ما تعطيني فتفقأ عيني فقال الحجاج: مارأيت طلباً إلا هذه الطلبة، لماذا لم تطلب مالاً أو منصباً حتى تستفيد منه، فقال الأناني: والله أن تفقأ عيني أهون علي من أن أرى صاحبي يأخذ ضعفين وأنا أخذ نصف ما أخذ.

الدرس الخامس والعشرون:

٢٥- تحقير الناس

احذر أيها العزيز من أن تحقر أحداً من عباد الله أو تهينه، فقد روي عن أعظم المرسلين وأحبهم إلى رب العالمين محمد - صلى الله عليه وآله - قوله: «لقد أسري بي، فأوحى إليّ من وراء الحجاب ما أوحى، وشافهني إلى أن قال: يا محمد من أذلّ لي وليّاً، فقد أُرصد لي بالمحاربة، ومن حاربني حاربتة...»^(١).

إذن ليس من شأن المؤمن إلا أن يُكرم كل الناس ويُعزّهم، وخاصة أهل العلم والفضل، وأصحاب الورع والتقوى، والشيخ، ومن ابيضّت لحيته في الإسلام، والسلالة الجليلة من السادات العظام سلالة خير الأنام محمد وآله^(٢) - صلى الله عليه وآله - فإنه قال: «من استذلّ مؤمناً أو مؤمنة أو حقره لفقره أو قلة ذات يده شهّره الله - تعالى - يوم القيامة ثم يفضحه»^(٣).

وعن الصادق جعفر بن محمد - عليهما السلام - أنه قال: «من حقر مسكيناً لم يزل الله له حاقراً ما قنّاً حتى يرجع عن محقرته إيّاه»^(٤).

(١) سفينة البحار للقمي: ج ٢، محاربة أولياء الله. وقال عليه السلام: «مَنْ أَذَى مُؤْمِناً فَقَدْ أَذَى وَمِنْ أَذَى، فَقَدْ أَذَى اللَّهَ، وَمَنْ أَذَى اللَّهَ فَهُوَ مَلْعُونٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْقُرْآنِ».

(٢) روى النوري في مستدرك الوسائل: ج ١٢، ص ٣٧٦، ح ٨. عن رسول الله ﷺ: «حَقَّتْ شَفَاعَتِي لِمَنْ أَعَانَ ذَرِيَّتِي بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَمَالِهِ». وقال عليه السلام: «أَكْرَمُوا أَوْلَادِي، الصَّالِحُونَ لِلَّهِ، وَالطَّالِحُونَ لِي». وقال عليه السلام: «أَكْرَمُوا أَوْلَادِي وَحَسَنُوا أَدَابِي». وقال عليه السلام: أنه قال: «أَرْبَعَةٌ أَنَالَهُمْ شَفِيعَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَوْ جَاءُوا بِذُنُوبٍ أَهْلَ الدُّنْيَا، الْمَكْرَمُ لَذَرِيَّتِي، وَالْقَاضِي لَهُمْ حَوَائِجَهُمْ، وَالسَّاعِي لَهُمْ عِنْدَ اضْطِرَارِهِمْ، وَالْمَحِبُّ لَهُمْ بَقْلِيَّةً وَلِسَانَهُ».

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٤٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٥٢.

الدرس السادس والعشرون:

٢٦- الظلم

أخي وعزيزي: إياك والظلم لعباد الله، فإنّ جميع طوائف العالم أجمعوا على قباحتها، وتوعّد القرآن الكريم الظالمين ولعنهم^(١)، وذمّت الأخبار الظالمين وهددتهم.

وروي أنّ ساعة ظلم وجور هي عند الله أسوأ من ستّين عاماً من الذنوب^(٢).
وقال - عزّ من قائل: - ﴿والله لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

وروي عن شفيع الأئمة محمّد - صلّى الله عليه وآله - قوله: «إنّه ليأتي العبد يوم القيامة وقد سرّته حسناته، فيجيء الرجل فيقول: يا ربّ ظلمني هذا.

فيؤخذ من حسناته، فيجعل في حسنات الذي سأله، فما يزال كذلك حتّى ما يبقى له حسنة، فإذا جاء من يسأله نظر الى سيئاته فجعلت مع سيئات الرجل،

(١) قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ وقال تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ مقلبٍ ينقلبون﴾، وقال تعالى: ﴿إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين﴾. وقال تعالى: ﴿ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت من الرسول سبيلاً﴾ وقال تعالى: ﴿فويلٌ للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾.

(٢) روى الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص ٣٢١، ط بيروت الأعلمي عن رسول الله ﷺ: «عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها، وجور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله من المعاصي ستين سنة».

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٧.

فلا يزال يُستوفى منه حتى يدخل النار»^(١).

وروي عن وصية أمير المؤمنين علي - عليه السلام - قوله: «من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده»^(٢) و«إيّاك والظلم فإنّه أكبر المعاصي»^(٣) و«الظلم يزلّ القدم ويسلب النعم ويهلك الأمم»^(٤) و«أخسركم أظلمكم»^(٥).

وروي عنه - عليه السلام - أيضاً «والله لأنّ أبيت على حسك السعدان مُسهداً أو أُجرّ في الأغلال مُصفّداً أحبُّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفسٍ يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها»^(٦).

وروي عن جعفر بن محمد الصادق - عليهما السلام - عن آبائه - عليهم السلام - قال: «كان علي - عليه السلام - يقول: العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به شركاء ثلاثة»^(٧).

فتنبّه أيها العزيز واجعل سيرتك العدل، وتجنّب ظلم عباد الله^(٨)، فإنّ شرف

(١) الاخلاق والآداب الاسلامية: ص ٧٢٨، ط قم، عن النهاية: ج ٢، ص ٥٥.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ص ٤٥٦، ح ١٠٤٠٢ ط: مركز الابحاث والدراسات الاسلامية.

(٣) نفس المصدر: ص ٤٥٧، ح ١٠٤٣٨.

(٤) نفس المصدر: ص ٤٥٦، ح ١٠٤١٠.

(٥) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٥، ح ١٠٣٨٤، ط، مركز الابحاث والدراسات الاسلامية.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٣٥٩، نهج البلاغة الخطبة ٢٢٤، ص ٣٤٦، تعليق صبحي الصالح..

(٧) سفينة البحار: ج ٢، ظلم، وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص ٣٢١ عن رسول الله

ﷺ: «مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيَعِينَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ إِنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ».

(٨) قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ وَلَا يَهْمُ بِظُلْمِ أَحَدٍ غَفَرَ لَهُ مَا اجْتَرَمَ».

٦٠ خمسون درساً في الأخلاق

صفة العدل خارج عن حيز الوصف وحده، ويكفيك في ذلك أن ترى رجال العدل قد ضمّهم التراب، لكن ذكرهم يملأ الآفاق، وبهم تُضرب الأمثال، ويتحسّر الناس لدولهم. بينما يمر بعدهم آلاف الحكّام الذين تطوى صفحاتهم ويمحي ذكرهم بسبب ظلمهم، لأنّ الناس ينتظرون ساعة الخلاص منهم.



الدرس السابع والعشرون:

٢٧- قضاء حاجة المؤمن

اهتمَّ يا أخي كثيراً بقضاء حوائج المسلمين، واسع لتحقيق ما يهتَمُّهم. واعلم أنَّ أفضل القربات إلى الله السعي في قضاء حوائج ذوي الحاجات. روي عن ذي الخلق العظيم محمد - صلى الله عليه وآله - قوله: «مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً كَانَ كَمَنْ عَبْدَ اللَّهِ دَهْرًا»^(١).

وروي عن وصيه أمير المؤمنين - عليه السلام - أنه قال لكميل بن زياد: «يا كميل مُزْ أَهْلَكَ أَنْ يَرْوَحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، وَيُدْجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ، فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعَهُ الْأَصْوَاتُ، مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سُرُورًا إِلَّا وَخَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورَ لَطْفًا، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي إِغْدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الْإِبِلِ»^(٢).

وقال الإمام الصادق جعفر بن محمد - عليهما السلام - : «مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً قَضَى اللَّهُ - عَزَّوَجَلَّ - لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ أَلْفِ حَاجَةٍ مِنْ ذَلِكَ أَوْهَا الْجَنَّةُ»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٣٠٢ وجامع السعادات: ج ٢ ص ٢٣٠، وروي عن رسول الله ﷺ: «مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، قَضَاهَا أَوْ لَمْ يَقْضِهَا، كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ اعْتِكَافٍ شَهْرَيْنِ».

(٢) نهج البلاغة باب قصار الحكم، رقم ٢٥٧، ص ٧٠٥، ط: قم دار الأسوة.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٣٢٢، وجامع السعادات: ج ٢، ص ٢٣٠ (فصل قضاء حوائج المسلمين)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقًا مِنْ خَلْقِهِ، انْتَجَبَهُمْ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ فَقَرَاءِ شِيعَتِنَا، لِيُنِيبَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةِ. فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ فَكُنْ».

الدرس الثامن والعشرون:

٢٨- إلقاء السرور في قلب المؤمن

اسع ما استطعت أن تلقى السرورَ في قلوب المؤمنين، فإنَّ ثواب ذلك لا يُحدُّ
بحدٍّ، فإنَّ إدخال السرور على قلب المؤمن خيرٌ من بناء بلد.

روي عن مُسرِّ المؤمنين محمد - صلى الله عليه وآله - قوله: «إنَّ أحبَّ الأعمال
إلى الله إدخال السرور على المؤمنين»^(١).

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «مَنْ سرَّ مؤمناً، فقد سرَّني، ومن سرَّني فقد
سرَّ الله»^(٢).

وروي عن الصادق - عليه السلام - : «والله .. لرسول الله - صلى الله عليه
وآله - أسرُّ بقضاء حاجة المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة»^(٣).

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٥١، باب إدخال السرور على المؤمنين، ح ٤.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٥٠، ح ١، وبحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٢٨٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٣٢٨، وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «مَنْ أدخل السرور على
أخيه المؤمن فقد أدخل السرور علينا أهل البيت، وَمَنْ أدخل السرور علينا أهل البيت فقد
أدخل السرور على رسول الله ﷺ، وَمَنْ أدخل السرور على رسول الله ﷺ فقد سرَّ الله،
وَمَنْ سرَّ الله كان حقاً على الله أَنْ يسره وأنْ يسكنه جنته» راجع جامع الأخبار للسبزواري:
ص ٢٢٣.

الدرس التاسع والعشرون:

٢٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا تتوان يا أخي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّ التهاون في هذا الأمر يُعدّ من جملة المهلكات، وضرره عامٌ وشاملٌ، وفساده تامٌ^(١).

وروي عن أبي جعفر محمد بن علي باقر العلوم - عليهما السّلام - قوله: «أوحى الله إلى شعيب النبي: إني معذّب من قومك مئة ألفٍ، أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم.

فقال - عليه السلام - ياربّ هؤلاء الأشرار؛ فما بال الأخيار؟

فأوحى الله - عزّ وجلّ - إليه: داهنوا أهلّ المعاصي ولم يغضبوا لغضبي»^(٢).

(١) وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «غاية الدّين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامته الحدود» وقال عليه السلام: «مَنْ نهى عن المنكر أرغم أنوف الفاسقين»، وقال عليه السلام: «الأمر بالمعروف أفضل أعمال الخلق».

وللتفصيل راجع تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٣٢ باب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ط:

مركز الابحاث والدراسات الاسلامية).

(٢) الكافي: ج ٥، كتاب الجهاد باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومشكاة الأنوار للطبرسي: ص ٥٦، الفصل الثالث عشر.

وروي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات وسلّط بعضهم ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء».

الدرس الثلاثون:

٣٠- الإلفة

إلفة الناس ومصافاتهم من الأوصاف الحميدة، والأخلاق المرغوب فيها، ومن هنا كانت الأحاديث الكثيرة في فضيلة زيارة المؤمنين والسلام عليهم^(١)، ومصافحتهم^(٢)، وعيادة المرضى، وتشجيع الجنائز، وتعزية أهل المصائب وما شابه^(٣).

ومن يلاحظ الأخبار الواردة في هذا الباب يعلم مدى اهتمام الباري - تعالى -

(١) روى الديلمي في أعلام الدين: ص ٤٤٤ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ زَارَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ إِلَى مَنْزِلِهِ، لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ إِلَّا فِي اللَّهِ، كُتِبَ فِي زَوَارِ اللَّهِ، وَكَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكْرِمَهُ». وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «السلام سبعون حسنة تسعة وستون للمبتدئ وواحدة للراد». وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ مَوْجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذْلَ السَّلَامِ وَحَسَنَ الْكَلَامِ». وقال ﷺ: «أَفْشَوْا السَّلَامَ تَسْلَمُوا».

(٢) روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «مصافحة المؤمن بألف حسنة» راجع مشكاة الأنوار: ص ٢٠٢.

(٣) روى الصدوق في ثواب الأعمال: ص ٣٤٤، عن رسول الله ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً، فَلَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ خَطَايَاهَا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ أَلْفٍ حَسَنَةٍ، وَمَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ أَلْفٍ سَيِّئَةٍ وَيُزَفُّ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ أَلْفٍ دَرَجَةٍ، وَيُكَلِّ بِه سَبْعُونَ أَلْفَ أَلْفَ مَلَكٍ يَقْعُدُونَ فِي قَبْرِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وقال رسول الله ﷺ: «التعزية تورث الجنة» وقال الإمام الباقر عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَزَّى مُصَاباً كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، مَنْ غَيَّرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الْمَصَابِ شَيْءٌ».

بالألفة والمحبة بين عباده، وما وضع من السنن الحميدة لحفظ هذه الصفة. ولكن آه ويا للأسف فإن أكثر هذه السنن أضحت في هذا الزمان معطّلة ومهملة، فلم يبقَ من آثار النبوة إلاّ الرسم، ومن طريقة الشريعة سوى الاسم. أتباع الشيطان يتعاهدون بعضهم بعضاً لتحقيق أغراضهم الفاسدة في أيام الدنيا المعدودة، فينشرون النفاق والعداوة بين العباد، ويرفسون بأقدامهم ما أمر الله به وأولاه كلّ اهتمام، لا يتزاورون إلاّ رياءً أو لتحقيق هدفٍ فاسد، ويعتبرون السلام والتحية دليل وضاعة، ويتوقعون السلام والتحية أن تبلغهم من غيرهم دون أن يبادروا بها، ويرون المصافحة شيمة البلهاء.

وقال عزّ من قائل: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(١). وقال مؤلف قلوب المؤمنين محمد - صلى الله عليه وآله - «أقربكم منّي غداً في الموقف... أحسنكم خلقاً وأقربكم من الناس»^(٢). وروي عن أمير المؤمنين - عليه السلام - قوله: «طوبى لمن يألف الناس ويألفونه على طاعة الله»^(٣).

وروي عن ابنها صادق القول والفعل - عليه السلام - «إنّ ائتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا، وإن لم يظهروا التودّد بألسنتهم كسرعة اختلاط قطر السماء على مياه الأنهار، وإن بُعد ائتلاف قلوب الفجّار إذا التقوا وإن أظهروا التودّد بألسنتهم

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١٥٠.

(٣) مشكاة الأنوار للطبرسي ص ١٨١، وبحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٥٦، وقال رسول الله ﷺ:

«خياركم أحسنكم أخلاقاً، الذين يألفون ويؤلفون».

كَبُعد البهائم من التعاطف إن طال اعتلافها على مذودٍ واحد»^(١).



(١) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٢٨١، وقال أمير المؤمنين عليه السلام في تصنيف غرر الحكم ص ٤١٣: «المؤمن ألفٌ مألوفٌ متعطفٌ» وقال: «المودةُ نسبٌ» وقال عليه السلام: «التودد الى الناس رأسُ العقل» وقال عليه السلام: «أنفع الكنوز محبة القلوب».

الدرس الواحد والثلاثون:

٣١- صلة الرحم

صلة الرحم والاتصال بذوي الأرحام والقربى من الطاعات الأكيدة، بل من أفضل العبادات، ويكفيك من فضل هذه الصفة أنها تزيد في العمر والمال، وتسهّل الحساب يوم القيامة^(١).

أما قطع الرحم، فإنه موجب لعذاب الآخرة ونزول البلاء في الدنيا. وقد دلّت الأخبار والتجارب أنّ قطع الرحم يؤدّي الى الفقر والقلق وقصر العمر^(٢).

(١) روى الكليني في الكافي: ج ٢، ص ١٢١، ح ٣ عن الامام الرضا عليه السلام: «يكون الرجل يصلّ رحمه فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله ثلاثين سنةً ويفعل الله ما يشاء». وفي المصدر نفسه ح ٤ عن الامام الباقر عليه السلام قال: «صلة الأرحام تُزكي الأعمال وتُثمي الأموال وتدفع البلوى وتيسر الحساب وتُسيء في الأجل». وفي المصدر نفسه ح ٦، عن الامام الصادق عليه السلام قال: «صلة الأرحام تُحسن الخلق وتُسمي الكفّ وتُطيب النفس وتزيد في الرزق وتُسيء في الأجل». وروي عن النبي صلى الله عليه وآله: «صلة الرحم تُزيد في العمر وتنفي الفقر»، وقال صلى الله عليه وآله: «صلة الرحم تُعمر الديار، وتُزيد في الأعمار وإن كان أهلها غير أخبار». وروى السبزواري في جامع الأخبار: ص ٢٨٨، ح ٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «من يضمن لي خصلة واحدة أضمن له أربعة: من يضمن لي صلة الرحم أضمن له محبة أهله، وكثرة ماله، وبطول عمره، ودخول جنة ربه».

(٢) روي الكليني في الكافي: ج ٢، ص ٢٦٠، ح ٧ عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أمير

ويكفي في ذمّ قطع الرحم أنّ الله - تعالى - لَمَن قاطع الرحم في كتابه الكريم فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(١) ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(٢).



= المؤمنين ﷺ في خطبة: «أعوذ بالله من الذنوب التي تُعَجِّلُ الفناء، فقام اليه عبدالله بن الكواء اليشكري فقال: يا أمير المؤمنين، أوتكون ذنوبٌ تُعَجِّلُ الفناء؟ فقال: نعم وملك قطعة الرّحم، إنّ أهل البيت يجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله وإنّ أهل البيت يتفرقون ويقطع بعضهم بعضاً فيحرمهم الله وهم أتقياء».

(١) سورة الرعد: الآية ٢٥.

(٢) سورة محمد ﷺ: الآية ٢٢.

الدرس الثاني والثلاثون

٣٢- عقوق الوالدين

عقوق الوالدين هو إغضابهما وايداؤهما وكسر خاطرهما كليهما أو أحدهما. والعقوق من أشد أنواع قطع الرحم ولا شك أنه من الكبائر. سيء الحظ من كان عاقاً لوالديه، فإنه لا يرى الخير لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا ينفعه عمره، ولا ترفعه عزته، يقصر عمره، وتضيع حياته هباءً. تصعب عليه سكرات الموت وتشتد، ويرهقه خروج روحه. فتنبه يا أخي وارحم نفسك، واحذر حدّ العقوق، فإنه قاطع. وتذكر معاناة والديك فيك، وهجرهما النوم من أجلك، وتربيتهما لك، وسنين رقدتك في أحضانها تنهل منها العطف والحنان والمحبة، وبذلمهم مهجهم دونك... حتى بلغت ما بلغت، واشتد عضدك بعد أن كنت ضعيفاً مستقوياً بهم.. ماذا دهاك.. هل نسيت كل ذلك، أو عنه عميت، أو دونه كفرت؟ روي عن أبر الخلق بوالديه محمد - صلى الله عليه وآله - قوله: «يُقال للعاق: اعمل ما شئت فأني لا أغفر لك»^(١) و«اتنان يعجلهما الله في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين» و«من أحزن والديه فقد عقهما»^(٢).

(١) راجع روضة الواعظين: ج ٢، ص ٣٦٨، وذيل الرواية: (ويقال للبار: اعمل ما شئت فأني سأغفر لك).

(٢) كنز العمال: ح ٤٥٤٥٨ و ٤٥٥٢٧ و ٤٥٥٤٨.

٧٠..... خمسون درساً في الأخلاق

وروي عن الصادق - عليه السلام - قوله: «من العقوق أن ينظر الرجل الى والديه فيحدّ النظر إليهما»^(١) و«من نظر الى أبويه نظر مامت وهما ظالمان له، لم يقبل الله له صلاة»^(٢).

وروي عن الرضا علي بن موسى - صلوات الله عليه - قوله: «حرّم الله عقوق الوالدين لما فيه من الخروج من التوفيق لطاعة الله - عزّ وجلّ - والتوقير للوالدين وتجنّب كفر النعمة وإبطال الشكر، وما يدعو من ذلك الى قلة النسل وانقطاعه لما في العقوق من قلة توقير الوالدين وعرفان حقّها، وقطع الأرحام والزهد من الوالدين في الولد، وترك التربية بعلّة ترك الولد برّهما»^(٣).



(١) إليك عزيزي القاريء نصّ الرواية التي نقلها الكليني رحمه الله في الكافي ج ٢، ص ٢٦١، ح ٧ (باب العقوق) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لو علم الله شيئاً أدنى من أفٍ لنهى عنه وهو من أدنى العقوق ومن العقوق...».

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٦١، ح ٥. وبحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٦١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٧٥. وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص ١٦٦ (الفصل الرابع) عن الامام الباقر عليه السلام يقول: «إنّ أبي كرم الله وجهه نظر الى رجلٍ ومعه ابنه، والابن متكٍ على ذراع الأب قال: فما كلّمه علي بن الحسين عليه السلام مقتاً له حتى فارق الدنيا».

وروي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة كُشِفَ غطاء من أغطية الجنة فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلّا صنف واحد، قلت ومن هم؟ قال: العاق لوالديه».

وللتفصيل راجع الكافي باب العقوق ج ٢، وجامع السعادات: ج ٢ (باب عقوق الوالدين).

الدرس الثالث والثلاثون:

٣٣-مراعاة الجار

أخي.. لا تؤذ جيرانك، بل راع فيهم حق الجار^(١)، ولا تنتظر في بيوتهم لتطلع على عوراتهم وتراقب أعمالهم، ولا تجعل ميزابك يصب في بيوتهم، ولا ترم التراب والقذارة عند باب بيوتهم، ولا تؤذهم بدخان بيتك ورائحة طعامك، وواسمهم. إياك أن تنام في الليل مليء البطن وهم جائعون، أو تمضي في راحة وهم في شدة وعناء من البرد والقلة يئنون^(٢).

لا تمنع عنهم الملح والنار والماء وما شابه ذلك، وإن طلبوا منك إعارتهم بعض أغراض بيتك أعرضهم.

وراعهم في كل الأمور؛ فإن الإحسان للجار يزيد في العمر ويعمر الديار^(٣). وقد أوصانا أهل بيت العصمة بالجيران خيراً في الكثير من أحاديثهم. روي عن خير من حفظ حق الجار محمد - صلى الله عليه وآله -: «أحسن مجاورة من جاورك، تكن مؤمناً» و«حرمة الجار على الإنسان كحرمة أمه»

(١) قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أذى جاره حرّم الله عليه ربح الجنة ومأواه جهنّم وبئس المصير، ومَنْ ضَيّع حقّ جاره فليس متّاً» مشكاة الأنوار للطبرسي: ص ٢١٥.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «ليس من المؤمنين الذي يشبع وجاره جائع الى جنبه» راجع نفس المصدر.

(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام الصادق عليه السلام قال: «حسن الجوار زيادة في الأعمار وعمارة في الديار».

٧٢ خمسون درساً في الأخلاق

و«ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(١).

وقال جار رسول الله وجار مسجده أمير المؤمنين علي - عليه السلام - : «مَنْ أحسن الى جيرانه، كثر خدمه»^(٢) و«الله الله في جيرانكم، فإنه وصية نبيكم»^(٣).

وقال ابنهما موسى الكاظم - عليه السلام - : «ليس حُسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى»^(٤).



(١) مشكاة الأنوار للطبرسي: ص ٢١٣، بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٣٦٨، وج ٧٦، ص ١٥٤.

وج ٧٤، ص ١٥١.

(٢) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣٧، ح ١٠٠٠٨. وقال عليه السلام: «سَلْ عن الجار قبل الدار».

(٣) نهج البلاغة، وصيته عند وفاته.

(٤) مشكاة الأنوار للطبرسي: ص ٢١٥، ولكن اخرج الحديث عن الامام الصادق عليه السلام، وبحار

الأنوار: ج ٧٧، ص ٣٢٠.

الدرس الرابع والثلاثون:

٣٤- إظهار العيوب

من علامات خبث النفس ودناءة الطبع وعدم سلامة السجية تتبّع عورات الناس وإحصاء أخطائهم، فإنَّ كلَّ ذي عيبٍ ونقصٍ يسعى الى إظهار عيوب الناس ونقائصهم.

روي عن الإنسان الكامل والمنزّه عن العيب محمد - صلى الله عليه وآله - قوله: «مَنْ أذاع فاحشةً كان كمتبذّرها، ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه»^(١).

وقال أمير المؤمنين علي - عليه السلام -: «تتبع العيوب من أقبح العيوب وشر السيئات»^(٢) و«من بحث عن أسرار غيره، أظهر الله - سبحانه - أسرار» و«لا تفرح بسقطه غيرك، فإنّك لا تدري ما يحدث بك الزمان»^(٣).

من تتبّع عيوب الناس، وشغل وقته ولسانه بذكرها، في حين أنّ عيوبه تعدّ بالآلاف، ومعاصيه سوّده من رأسه حتى أخمص قدميه، فأغمر عينه عمّا فيه وطفق يذكر ما في غيره فهو أحمق.

(١) الكافي: ج ٢، باب التعبير، ح ٢ ص ٢٦٥، ويركبه: يُبتلى بفعل ما عيّر. وقال الامام الصادق

عليه السلام: «مَنْ لقي أخاه بما يُؤْتبه أْتبه الله في الدنيا والآخرة».

(٢) تصنيف غرر الحكم: ص ٤٥١ ح ١٠٣٧٣ وقال عليه السلام: «تتبع العورات من اعظم السوءات».

(٣) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم.

٧٤ خمسون درساً في الأخلاق

تأمل قول أمير المؤمنين وسيد الوصيين: «الأشرار يتتبعون مساوي الناس،
ويتركون محاسنهم؛ كما يتتبع الذباب الموضع الفاسدة» و«أكبر العيب أن تعيب ما
فيك مثله»^(١).



(١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ج ٢٠، الحكمة ١١٣. نهج البلاغة، الحكمة ٣٤٥.

الباب الخامس والثلاثون:

٣٥- حفظ السر

أخي.. إذا أردتَ حفظَ سرٍّ، فلا تطلع عليه أحداً؛ وإن كان صديقك المخلص لك، فإنَّ له أصدقاء كثيرين.
قال بعض العلماء: «كلُّ سرٍّ جاوز الاثنين شاع» أي: ما خرج عن الشفتين أو الشخصين.

روي عن أمير المؤمنين كاتم سرِّ رسول الله - صلى الله عليه وآله -: «سرُّك أسيرك فإن أفشيتَه صرت أسيره»^(١) و«كلُّما كثر خزان الأسرار كثر ضياعها»^(٢) و«ابذل لصديقك كلَّ المودَّة، ولا تبذل له كلَّ الطمأنينة»^(٣).
وروي عن جعفر بن محمد الصادق - عليها السَّلام -: «سرُّك من دمك، فلا يجربنَّ من غير أوداجك»^(٤).



(١) تصنيف غرر الحكم: ص ٣٢٠، ح ٧٤١٦.

(٢) نفس المصدر: ح ٧٤١٨.

(٣) نفس المصدر / قال عليه السلام: «كُنْ بِاسْرَارِكَ بِخِيلاً، ولا تدع سراً أُودعته فإنَّ الإذاعة خيانة»

وقال: «كاتم لسرٍّ وفي أمين».

(٤) راجع الكافي: ج ٢ باب الكتمان، ص ١٧٥، بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٧١.

الدرس السادس والثلاثين:

٣٦- النميمة

النَّمَامُ الذي ينقل الكلام، بالقول أو بالكتابة، صراحة أو إشارة^(١). وهي من أَرذل الصفات الخبيثة، وثَلث عذاب القبر بسببها، بل استفاد البعض أَنَّ النَّمَامَ ابن حرام، وذلك من قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَثَلٌٍ بَنِمِيمٍ، مَنَّاغٍ لِلخَيْرِ مَعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُنْطٌ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾^(٢).

من اطلع على حقيقة هذه الصفة الخبيثة علم أَنَّ النَّمَامَ أسوأ الناس حظاً وأخبثهم سريرةً.

وأسوأ أنواع النميمة السعاية، وهي النميمة عند من يخشى منه إلحاق الضرر والأذية والقتل كالسلاطين والحكام والرؤساء.

روي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله: «إِيَّاكُمْ وَقَاتِلِ الثَّلَاثَةَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَرِّارِ خَلْقِ اللَّهِ.

قيل: يا رسول الله وما قاتل الثلاثة؟

(١) قال السيد الجليل عبدالله شبر في كتابه الأخلاق ص ١٦٩، ط الشريف الرضي: النمام هو من ينم قول الغير الى المقول فيه ويكشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه: أو كرهه ثالث، سواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو الإيماء سواء كان المنقول من الأعمال أو الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاناً على المنقول عنه أولاً. فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر وكشفه.

(٢) سورة القلم: الآية ١١ - ١٣.

قال: رجلٌ سلّم أخاه الى سلطانه، فقتل نفسه، وقتل أخاه، وقتل سلطانه»^(١).
وروي عنه - صلى الله عليه وآله - أيضاً «لا يدخل الجنة نمام»^(٢) و«احذر
الغيبة والنميمة، فإن الغيبة تُفطر والنميمة توجب عذاب القرب»^(٣).



(١) كنز العمال: ح ٨٨٤٦.

(٢) الأخلاق للسيد عبدالله شبر: ص ١٦٩.

(٣) الترغيب: ج ٣، ص ٤٩٦، بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٦٧.

وروي الكليني في الكافي: ج ٢ ص ٢٧٤، عن الامام الباقر عليه السلام: «محرمة الجنة على القتاتين

المشائين بالنميمة» - القتات: الذي يسمع الكلام سراً.

وروي عن الامام الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «شراركم المشاؤون بالنميمة،

المفروقون بين الاحبة، المبتغون للبراء المغايب».

الدرس السابع والثلاثون:

٣٧- الشَّماتة

الشَّماتة هي أن تقول: ما أصاب فلاناً من مصيبةٍ أو بلاءٍ إلّا لسوءٍ فيه، وأن تفرح لما أصابه^(١).

وتدل الأخبار والتجارب على أنّ صاحب الشَّماتة لا يخرج من الدنيا حتى يُبتلى بما شمت به، حتى يشمت به غيره.

روي عن الصادق - عليه السلام - : «لا تُبدِ الشَّماتة لأخيك، فيرحمه الله ويُصيرها بك» و«من شمت بمصيبةٍ نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يُفتن»^(٢).
إذن فالعاقل الذي لا يأمن نفسه، فإنّه لا يشمت بغيره^(٣).



(١) قال التراقي في جامع السعادات: ج ٢ ص ٦٧ الشَّماتة: (وهو إظهار ما حدث بغيره من البلية والمصيبة إنما هو من سوء فعله وإساءته أو الغالب صدوره عن العداوة أو الحسد، وعلامته أن يكون مع فرحٍ ومسرة).

(٢) الكافي: ج ٢، باب المشاتة: ص ٣٥٩، ح ١.

(٣) قال التراقي في جامع السعادات: ج ٢ ص ٦٨: فينبغي لكل عاقل أن يتأمل أولاً: إنّ الشَّماتة بمسلمٍ بمصيبةٍ لا ينفك في الدنيا من ابتلاءه بمثلها.

ثانياً: إنّها إيذاء لأخيه المسلم، فلا ينفك عن العذاب في الآخرة.

ثالثاً: إنّ نزول هذه المصيبة به لا يدلُّ على سوء حاله عند الله، بل الأرجح دلالته على حسن حاله وتقربه عند الله سبحانه.

الدرس الثامن والثلاثون:

٣٨-المراء

المراء والمجدال هما الاعتراض على كلام الآخرين، وإظهار النقص والحلل فيه للنيل من المتكلم، وإظهار قدرة المعارض. دون أن ينال المعارض فائدةً أخرىة^(١).

والمراء من الأخلاق المذمومة.

روي عن ذي الخلق العظيم - صلى الله عليه وآله - قوله «لا يؤمن رجلٌ حتى يحبَّ أهل بيته، وحتى يدع المراء وهو مُحَقٌّ»^(٢).

ولاشك أنه إذا اشتدَّت هذه الصفة المذمومة، فإنَّها تصل بصاحبها الى حدٍّ يصبح معه كالكلب المتوحَّش الذي يبحث دوماً عمن يتصارع معه، ويترصَّد المماري أن يسمع من أحدٍ كلاماً ليجادله فيه ويتابعه ليلتذ بمرائه. خاصة إذا كان في المجلس جمعٌ من ضعفاء العقول يشجعونه على صفته الخبيثة تلك، فيقولون: فلان مجادلٌ ماهرٌ ومتكلمٌ حاذق وناطق فريد.

ولهذا يميل المراني غالباً إلى أن يجادل جاهلاً ليغلبه، لكننا سيء الحظ هذا يغفل عن أن من جادل من هو أدنى منه علماً ليعلم الآخرون أنه عالم، جزموا بجهله.

(١) المراء: طعن في كلام الغير لإظهار خللٍ فيه، مِن غير غرضٍ سوى تحقيره وإهانته، وإظهار

تفوقه وكياسته، جامع السعادات: ج ٢ ص ٢٨٢.

(٢) سفينة البحار للقمي: ج ٢، المراء.

٨٠ خمسون درساً في الأخلاق

قال - تعالى -: ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمارون في الساعة لفي ضلال بعيدٍ﴾^(١).
وروي عن أمير المؤمنين علي - عليه السلام - قوله: «إيتاكم والمراء والخصومة
فإنهما يُمرضان القلوب على الإخوان، وينبت عليهما النفاق»^(٢) و«ثمرة المراء
الشحناء»^(٣).

وروي عن الإمام الحسن بن علي العسكري - عليه السلام - : «لأثمار،
فيذهب بهاؤك، ولأتمازح فيجتراً عليك»^(٤).



(١) سورة الشورى: الآية ١٨.

(٢) هذه الرواية أخرجه الشيخ الكليني في الكافي: ج ٢ ص ٢٢٧، باب المراء والخصومة: ج ١،
والنراقى في جامع السعادات: ج ٢ ص ٢٨٥.

(٣) غرر الحكم: ص ٤٦٤، ح ١٠٦٤٥، وبحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٣٣٩. وقال عليه السلام: «سبب
الشحناء كثرة المراء».

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٣٧٠، وروي عن الامام الصادق عليه السلام: «لأثمارين حليماً ولاسفيهاً،
فإنّ الحليم يقلبك والسفيه يؤذيك».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «المراء بذر الشر».

الدرس التاسع والثلاثون:

٣٩- الاستهزاء

السخرية والاستهزاء: عبارة عن نقل أقوال الآخرين وأفعالهم وأوصافهم بالإشارة أو الكناية على وجه يدعو المستمع للضحك، ويكون الدافع الى ذلك إما العداة أو التكبر أو تحقير الآخرين.

وقد يكون الدافع هو مجرد إضحاك بعض أهل الدنيا، والترفيه عنهم طمعاً في أوساخهم الدنيوية.

لاشك أن هذا العمل مختص بالأراذل والأوباش وذليلي النفس، ولا تجد عند صاحب هذا العمل أثراً للدين والإيمان والإنسانية.

الله - سبحانه وتعالى - اعتبر الاستهزاء في بعض الأحيان جهلاً فقال: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(١).

أما الاستهزاء بآيات الله ورسله، فقد اعتبره كفراً ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ﴾^(٢) و ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٣).

(١) سورة البقرة: الآية ٦٧.

(٢) سورة الروم: الآية ١٠.

(٣) سورة الرعد: الآية ٣٢، وقال ﷺ: «إنه المستهزئ بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة، فيقال: هلم! فيجيء بكربه وغمه، فإذا أتى أغلق دونه، ثم يفتح له باب آخر، فيقال: هلم! فيجيء بكربه وغمه، فإذا أتى أغلق دونه، فما يزال كذلك، حتى يفتح له الباب، فيقال له: هلم هلم فما يأتيه».

الدرس الأربعون

٤٠- الإفراط في المزاح

الإفراط في المزاح مذموم، ويؤدي الى الخفة وقلة الوقار، وسقوط الهيبة، وحصول المذلة، وموت القلب، والغفلة عن الآخرة، وفي كثير من الأحيان يؤدي الى وقوع العداوة، وإيذاء المؤمن واستحيائه^(١).

أما المزاح الذي ليس فيه إفراط، ولا يؤدي الى المفساد التي مرّ ذكرها ولا يؤدي الى فتح الفم على وسعه؛ فإنه ممدوح.

روي عن خير رسل الله محمد - صلى الله عليه وآله - قوله: «لا يبلغ العبد صريح الإيمان حتى يدع المزاح والكذب»^(٢).

وروي عن وصيه أمير المؤمنين علي - عليه السلام - قوله: «ما مزح امرؤ مزحة إلا حجّ من عقله مجّة» و «من مزح استخف به» و «لكلّ شيءٍ بذرٌ، وبذر العداوة المزاح» و «أعقل الناس من غلب جدّه هزله»^(٣).



(١) قال رسول الله ﷺ: «لا تمار أخاك، ولا تمازحه» وقال ﷺ: «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً». وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تكثرن الضحك فتذهب هيبتك، ولا المزاح فيستخف بك».

(٢) الترغيب: ج ٣، ٥٩٤.

(٣) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٢٢ ط، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية.
وقال عليه السلام: «دع المزاح فإنه لقاح الضغينة»، قال: «كثرة المزاح تُسقط الهيبة» وقال: «مَنْ كَثُرَ مُزَاحُهُ اسْتَحَقَّ».

الدرس الواحد والأربعون:

٤١- الغيبة

الغيبة هي عبارة عن قول شيءٍ في غياب شخص بقصد انتقاصه والنيل منه، بحيث لو بلغه هذا القول يسيئه ولا يرضى به، كأن يقال فلان فيه نقص في بدنه، أو نسبه، أو في صفاته، وأفعاله، وأقواله، أو في ما ينسب إليه^(١).
روي عن رسول الله محمد - صلى الله عليه وآله - قوله: «هل تدرون ما الغيبة؟»

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: ذكرك أخاك بما يكره.

قيل: أرايت إن كان في أخي ما أقول؟

قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتنه، وإن لم يكن فيه فقد بهتته^(٢).

ولا فرق في الغيبة كنايةً كانت أو صراحة، بل لعل الكناية أسوأ، ولا فرق

أيضاً بين القائل والمستمع، فكلاهما بحكم المستغيب^(٣).

(١) الغيبة: هي أن يذكر الغير بما يكرهه لو بلغه، سواء كان ذلك بنقصٍ في بدنه أو في أخلاقه أو في أقواله، أو في أفعاله المتعلقة بدينه أو دنياه، بل وإن كان بنقصٍ في ثوبه أو داره أو دابته. (جامع السعادات: ج ٢، ص ٢٩٣)، حيث سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الغيبة فقال: «هو أن تقول لأخيك في دينه ما لم يفعل وتبت عليه أمراً قد سره الله عليه لم يَقم عليه فيه حد».

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٢، باب ٦٦، الغيبة، جامع السعادات: ج ٢، ص ٢٩٣ باب الغيبة.

(٣) قال رسول الله ﷺ: «ما عُمر مجلسٍ بالغيبة إلا خرب من الدين، فنزهوا أسماعكم من

اعلم أنَّ الغيبة من أعظم المهلكات، وحرمتها أمر صرَّح به الكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة.

قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

وروي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله: «الغيبة أشد من الزنا. فقليل: ولم ذلك يا رسول الله؟

قال: صاحب الزنا يتوب، فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه، حتى يكون صاحبه الذي يحلله» (٢).

وروي عنه - صلى الله عليه وآله - أيضاً: «من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله - تعالى - صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلا أن يغفر له صاحبه» (٣).

وروي أيضاً عن الامام محمد الباقر - عليه السلام - قوله: «إذا كان يوم القيامة أقبل قومٌ على الله - عز وجل - فلا يجدون لأنفسهم حسنات، فيقولون: إلهنا وسيّدنا ما فعلت حسناتنا؟

فيقول الله - عز وجل - : أكلتها الغيبة، إنَّ الغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار

= استماع الغيبة، فإنَّ القائل والمستمع لها شريكان في الأثم» راجع روضة الواعظين: ج ٢، ص ٤٧٠.

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٢) علل الشرائع: ج ١ ص ٥٥٧، ومستدرک الوسائل: ج ٩، أحكام العشرة، باب تحريم اغتياب المؤمن.

(٣) جامع الأخبار: ص ٤١٢ فصل ١٠٩، والمصدر السابق، الحديث ٣٤.

الحلفاء» (١).

والأحاديث الواردة في ذم هذه الصفة الحبيثة كثيرة (٢).
وعلاجها هو الرجوع الى الآيات والأخبار التي تذمها (٣)، والتفكر فيها
وتأملها، والانتصاف للآخرين.
انظر إذا استغابك أحد كيف تتأذى وتغضب، ومقتضى الشرف أن لا ترضى
لغيرك ما لا ترضاه لنفسك.
ثم بعد ذلك التفت الى لسانك وتأمل كلامك، واسع الى القضاء على منشأ
الغيبة وهو عادة الغضب أو العداوة أو الحقد أو الحسد أو المزاح أو السخرية
والاستهزاء أو التفاخر والمباهاة وما شابه ذلك.

(١) مستدرک الوسائل، الحديث ٤٢، والحلفاء: الحطب وقيل نبات معروف. وروى العلامة
المجلسي في البحار: ج ٧٥، ص ٢٥٨، ح ٥٣، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤتى بأحد يوم
القيامة يوقف بين يدي الله ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته، فيقول: إلهي، ليس هذا كتابي،
فإني لا أرى فيها طاعتي، فيقال له: (إن ربك لا يضل ولا ينسى، ذهب عملك باغتيال الناس.
ثم يؤتى بآخر ويدفع اليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول: إلهي، ما هذا كتابي، فإني ما
عملت هذه الطاعات! فيقال: لأن فلاناً اغتابك فدفعتُ حسناته إليك).

(٢) روى الصدوق في علل الشرائع عن النبي ﷺ: «إن عذاب القبر من النسيمة والغيبة
والكذب» وللزيادة والاطلاع راجع الكافي: ج ٢، ص ٢٦٦، باب الغيبة، وجامع الأخبار
للسبزواري: ص ٤١١، وجامع السعادات: ج ٢، باب الغيبة، ص ٢٩٣، ومشكاة الأنوار
للطبرسي: ص ١٧٢، الفصل ١٩.

(٣) قال تعالى في سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ آية: ١٩.

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا
عَلِيمًا﴾ آية: ١٤٨.

الدرس الثاني والأربعون:

٤٢- الكذب

الكذب صفة تجعل صاحبها ذليلاً وتذهب بماء وجهه واعتباره، وهي أصل الانفعال والحجل واسوداد الوجه في الدنيا والآخرة.

الآيات^(١) والروايات الدالة على خبث هذه الصفة كثيرة منها:

روي عن الصادق الأمين - صلى الله عليه وآله - قوله: «المؤمن إذا كذب بغير عُذْرٍ لعنه سبعون ألف ملك، وخرج من قلبه نتنٌ حتى يبلغ العرش فيلغنه حملة العرش، وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنيةً أهونها كمن يزني مع أمه»^(٢).
وروي عنه - صلى الله عليه وآله - أيضاً قوله: «الكذب بجانب الإيمان ولا رأي لكذوبٍ»^(٣).

وروي عن صهره أمير المؤمنين - عليه السلام - قوله: «أوصاني رسول الله - صلى الله عليه وآله - حين زوّجني فاطمة - عليها السلام - فقال: إياك والكذب، فإنّه يسوّد الوجه، وعليك بالصدق، فإنّه مبارك، والكذب مشؤومٌ»^(٤).

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقال: ﴿فَأَعْقِبْهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

(٢) البحار: ج ٧٢، ص ٣٦٣، ح ٤٨، ومستدرک الوسائل: الباب ١٢٠. الحديث ١٥، وحامع السعادات: ج ٢، ص ٣٢٢.

(٣) المصدر نفسه، الباب ١٢٠، الحديث ٢٤.

(٤) المصدر نفسه، الباب ١٢٠، الحديث ٢٢.

وروي عن أبي جعفر الباقر -عليهما السلام- قوله: «إن الله - عز وجل - جعل للشرِّ أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شرٌّ من الشراب»^(١).
وروي عن الامام الحسن العسكري -عليه السلام- قوله: «جُعِلَتِ الخبائث في بيت، وجعل مفتاحه الكذب»^(٢).

وروي عن خاتم الأنبياء -صلى الله عليه وآله- قوله: «أزبأ الربا الكذب»^(٣).

وروي عن أمير المؤمنين علي -عليه السلام- قوله: «اعتياد الكذب يُورث الفقر»^(٤).

وروي عن الإمام الصادق -عليه السلام-: «ليس لكذابٍ مُروءة»^(٥).
وروي عن أعزّ المرسلين محمد -صلى الله عليه وآله- قوله: «كأن رجلاً جاءني فقال لي: قم، فقممت معه، فإذا أنا برجلين أحدهما قائم، والآخر جالس، ويبد القائم كوب من حديد يلقمه في شدة الجالس، فيجذبه حتى يبلغ كاهله، ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده، فإذا مده رجع الآخر كما كان.

فقلت للذي أقامني: ما هذا؟
فقال: هذا رجلٌ كذابٌ يُعَذَّبُ في قبره الى يوم القيامة»^(٦).
إن مفسد الكذب أكثر من أن تحصى.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣٣٨، ح ٣. باب الكذب، وجامع السعادات: ج ٢، ص ٣٢٣.

(٢) الدرّة الباهرة: ص ٤٣.

(٣) دعوات الراوندي: ص ١١٨. حالات العافية والشكر.

(٤) الخصال للصدوق: ج ٢، ص ٥٠٥.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٢٦١، ح ٣٥.

(٦) جامع السعادات: ج ٢، فصل ذم الكذب ص ٩٦، ط، النجف.

أما طريق الخلاص من هذه الصفة الخبيثة فيكون بالرجوع الى الآيات والروايات التي تدم الكذب والكذاب^(١)، وتأملها والتيقن بأن الكذب يؤدي الى الهلاك الأبدي، والفضيحة، والذل، وسقوط العزة. ويكفي في فضيحة الكذاب الحديث التالي:

روي عن أبي عبدالله الصادق - عليه السلام - قوله: «إنّ مما أعان الله به على الكذابين النسيان»^(٢).

وهذا الأمر ثبت بالتجربة أيضاً حتى شاع به المثل «الكذاب لا يتذكر» وقيل أيضاً الكذب كضربة السيف، فإن التأم جرحها بقيت آثاره، وهذا ما حدث لإخوة يوسف عندما كذبوا لم يعد أبوهم يصدّقهم، فقال لهم: بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميلٌ^(٣).

واعلم أنّ عكس الكذب الصدق، وهو من أشرف الصفات الحسنة وأفضل الأخلاق الحميدة.

قال - تعالى - ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ﴾^(٤).

وروي عن أبي عبدالله الصادق - عليه السلام - قوله: «لاتغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم؛ فإنّ الرّجل لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن

(١) قال رسول الله ﷺ: «إياكم والكذب، فإنّ الكذب يهدي الى الفجور، والفجور يهدي الى النار» وسئل رسول الله ﷺ: «أيهن المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل: ويكون بخيلاً؟ قال: نعم، قيل: ويكون كذاباً؟ قال: لا». راجع جامع الأخبار للسبزواري: ص ٤١٧، الفصل الحادي عشر.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٤١، ح ١٥.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٨.

(٤) سورة التوبة: الآية ١١٩.

اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»^(١).



(١) الكافي: ج ٢، باب الصدق وأداء الأمانة، ح ٢ ص ٨٥.
 وروي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «لا تنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده، فإن ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك ولكن انظروا الى صدق حديثه وأداء أمانته». وقال الامام الصادق عليه السلام: «كونوا دُعَاءَ للناس بالخير بغير ألسنتكم، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع».

وقال عليه السلام: «إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الامانة الى البرِّ والفاجر». وروى عمرو بن أبي المقدم قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام - الباقر - في أوّل دخلة دخلت عليه: تعلموا الصدق قبل الحديث.

الدرس الثالث والأربعون:

٤٣- آفات اللسان

لا يخفى عليك أن كثيراً من الآفات كالغيبة والبهتان والكذب والسخرية والجidal والمراء والمزاح وكلام الفضول والفحش وغيرها إنما هي من آفات اللسان ومفاسده.

ويصل للإنسان من أضرار هذا العضو أكثر بكثير من غيره. وهو خير آلة يستخدمها الشيطان ليضلّ به بني الإنسان. وكل من يطلق العنان للسانه؛ فإنّ شيطانه يذهب به الى وادي الهلاك حيث الخذلان والعذاب الأليم.

روي عن أصدق الناس حديثاً محمّد - صلى الله عليه وآله - أنّه سُئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق».

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟

قال: «الأجوفان: الفم والفرج»^(١).

وروي عنه - صلى الله عليه وآله - أيضاً: «من وُقِيَ شرّ قبقة وذبذبة ولقلقه، فقد وُقِيَ»^(٢).

والقبقة للبطن، والذبذبة للفرج واللققة للسان.

وروي عن جعفر بن محمد الصادق - عليه السلام - قوله: «ما من يوم إلا وكل عضو من أعضاء الجسد يكفرّ اللسان يقول: نشدتك الله أن نعذب فيك»^(٣).

(١) سنن ابن ماجه ج ٢، باب ٢٩، من حديث لأبي هريرة.

(٢) المحجة البيضاء ج ٥. كتاب آفات اللسان، فضيلة الصمت. والاخلاق للسيد عبدالله شبر:

ص ١٥٨.

(٣) الكافي: ج ٢، باب الصمت وحفظ اللسان.

وفي الخبر «ما من صباح إلا وتكلم الأعضاء اللسان فتقول: إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»^(١).

نعم.. إن أكثر المحن الدنيوية والمفاسد الدينية تنشأ من اللسان. ودواء جميع آفات اللسان الصمت، فإنه زينة العالم وستر الجاهل. روي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - درة من درر حكيمته، وهي قوله: «من صمت نجا»^(٢).

ومما نقل من وصايا لقمان لابنه «يابني إن كنت زعمت أن الكلام من فضة، فإن السكوت من ذهب»^(٣).

وروي عن باقر العلوم محمد بن علي - عليهما السلام - قوله: «إنما شيعتنا الخرس»^(٤).

عزيزي اصمت ما استطعت، واجعله عادتك، ولا تغفل عن فوائده، واعلم أن الجاهل لا يسكت^(٥).

(١) لب اللباب للقطب الراوندي.

(٢) المحجة البيضاء: ج ٥، ص ١٩٢، والاخلاق، عبدالله شبر: ص ١٥٨.

(٣) الكافي: ج ٢، باب الصمت، ح ٦ ص ٩٣.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٩٢، ح ٢، وبحار الأنوار: ج ٦٨، باب ٧٨، ح ٤٠. والاخلاق عبدالله شبر: ص ١٥٨.

(٥) قال الامام الرضا عليه السلام: «من علامات الفقه الحِلْم والعِلْم والصمت، إن الصمت باب من أبواب الحكمة إن الصمت يكسب المحبة إنه دليل على كل خير».

عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «كان أبو ذر - رحمه الله - يقول: يامبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك».

راجع الكافي: ج ٢، باب الصمت ص ٩٢، وجامع السعادات: ج ٢، ص ٣٤٣، وجامع الأخبار للسبزواري: ص ٢٤٧، والأخلاق عبدالله شبر: ص ١٥٨.

الدرس الرابع والأربعون:

٤٤- حب الرياسة

حقيقة الرياسة تسخير قلوب الناس، وتملك قلوبهم، وهو من المهلكات العظيمة.

فقد روي عن أمير المؤمنين - عليه السلام - قوله «ما ذئبان ضاريان في غنمٍ قد تفرَّق رِعاؤها بأضرَّ في دين المسلم من الرئاسة»^(١).

ولا يخفى على كلِّ ذي شعورٍ أنَّ الرئاسة تُورث المفساد العظيمة، وتنتج الخسائر الدنيوية والأخروية، فإنَّ أرباب الرئاسة والجاه هم هدف دائمٍ لسهام المعاندين، وهم في خوفٍ مستمرٍّ من وقوع الذل وذهاب العزِّ، يعيشون في الأوهام الباطلة، بين الحاجة إلى الخادم والغلام وبين المعاملات الخيالية.

طالب الرئاسة يقضي حياته في التملُّق والترحيب، ويُفني عمره بالتَّفاق على هذا وذاك، لايهنيء نومه ليلاً، ولا يرتاح ويطمئن في نهاره.

قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

وروي عن رسول الإسلام محمد - صلى الله عليه وآله - قوله: «من أحبَّ أن

(١) الكافي: ج ٢ باب طلب الرئاسة. ص ٢٢٥، ح ١، وقال الامام لصادق عليه السلام: «ملعون من

ترأس، ملعون من هم بها، ملعون من حدَّث بها نفسه» نفس المصدر ح ٤.

(٢) سورة القصص، الآية ٨٣.

يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

وروي عن أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب - عليه السلام - قوله: «آفة العلماء حبّ الرئاسة» و«الرئاسة عطب»^(٢).

وجاء في الزبور «ليست الرئاسة رئاسة الملك، إنما الرئاسة رئاسة الآخرة»^(٣).



(١) بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٩٠.

(٢) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٣١، ح ٧٦١٤، وقال الامام الصادق عليه السلام: «مَنْ طلب الرئاسة هلك» فراجع الكافي: ج ٢، ص ٢٢٥، باب طلب الرئاسة.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٤٧.

الدرس الخامس والأربعون:

٤٥- الخمول والخفاء

الخمول والخفاء من الزهد، وهو من الصفات الحسنة للمقربين المؤمنين، ومن علامات أهل الجنة، والله يحب صاحب هذه الصفة، بل يُثني عليه.

روي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله: «إنَّ اليسير من الرياء شرك، وإنَّ الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يُفقدوا، وإذا حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصاييح الهدى، ينجون من كل غبراء مظلمة»^(١).

وروي عن أمير المؤمنين علي - عليه السلام - قوله: «كثرة المعارف محنة، وكثرة خلطة الناس فتنة» و«تبذل ولا تشتهر، ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم، واسكت واصمت تسلم، تسرّ الأبرار وتغيظ الفجار»^(٢).

وروي عن الإمام جعفر الصادق - عليه السلام - «إنَّ قدرتم ألا تُعرفوا فافعلوا، وما عليك إن لم يثن عليك الناس، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً»^(٣).

نعم .. أي نعمة أكبر من أن يعرف الإنسان ربّه، ويقنع بقليل من الدنيا،

(١) المحجة البيضاء ج ٦. كتاب ذم الجاه والرياء، بيان فضيلة الخمول. وجامع السعادات: ج ٢،

ص ٣٦٥، فصل حب الخمول.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ١٨١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ١٢١.

ولا يعرفه أحد؟

إذا جنّ عليه الليل عبّد الله ورقد في أمنٍ وراحةٍ، وإذا أقبل عليه النهار توجّه إلى عمله لكسب لقمة حلال.

لهذا نرى جملةً من عظماء الدين والسلف الصالح عرفوا قدر كنز الوحدة، فجلسوا في زاويةٍ من النسيان، وأغلقوا باب الخوض مع الخلق، وفتحوا باب القرب من الخالق، وزهدوا عن سماع التقدير والاحترام والمجاهة الدنيوي.

الشاعر سعدي الشيرازي قال: «قيل لأحد ذوي الألباب: لم نسمع بعشاقٍ للشمس على الرغم من حسنها الجملي؟!»

فقال: لأنّها تُرى كلّ يوم، إلّا في الشتاء، فهي محبوبَةٌ ومحبوبةٌ.



الدرس السادس والأربعون:

٤٦- الرياء^(١)

الرياء من الأخلاق الذميمة والمهلكات العظيمة. وقد دأب القرآن والسنة الشريفة في ذم هذه الصفة وتوعد المتصف بها. روي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله: «إنَّ اليسير من الرياء شرك»^(٢).

وروي عنه - صلى الله عليه وآله - أيضاً أنه سُئِلَ: «فيمَ النجاةُ غداً؟» قال: النجاةُ في أن لا تُخادعوا الله، فيخدعكم، فإنه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الايمان، ونفسه يخدع لو يشعر. فقليل له: وكيف يخادع الله؟ قال: يعمل بما أمره الله، ثم يريد به غيره، فاتَّقوا الله، واجتنبوا الرياء، فإنه شرك بالله.

(١) الرياء: هو طلب المنزلة في قلوب الناس بخصال الخير أو مايدلُّ عليها من الآثار. فهو من أصناف الجاه، إذ هو طلب المنزلة في القلوب بأي عملٍ اتفق (جامع السعادات: ج ٢، ص ٣٧٣، باب الرياء - ط، النجف).

وقال السيد عبدالله شبر في الأخلاق ص ١٨٨: الرياء من الرؤية: وهي طلب المنزلة في قلوب الناس بإراءتهم خصال الخير والسمعة.

(٢) المحجة البيضاء: ج ٦. كتاب ذم الجاه والرياء، بيان فضيلة الخمول. وقال ﷺ: «إنَّ أدنى الرياء الشرك».

إنَّ المرائي يُدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر.. حَبِطَ عملك، وبُطِلَ أجرك، ولا خلاق لك اليوم، فاطْلُبْ أجرك ممَّن كنت تعمل به»^(١).

وروي عنه - صلى الله عليه وآله - أيضاً قوله: «إنَّ الجنة تكلمت وقالت: إني حرامٌ على كلِّ بخيلٍ ومراءٍ»^(٢).

هناك أحاديث كثيرة في ذمِّ الرياء، ويكفي في الرياء خبئاً أنه يُبطل كلَّ عملٍ إذا دخل فيه^(٣).

وعلى هذا الرأي أجمع الفقهاء، وقالوا: لا تقبل الأعمال معه.

قال بعض العلماء: لا يظنُّ بعض الجهلة أنَّ شرط الاخلاص في عزاء سيد الشهداء الإمام الحسين - عليه السلام - غير لازم، ولقلة إدراكهم يفترون بظنهم هذا على الله ورسوله، ويروون الرياء في العزاء عليه - سلام الله عليه - أمراً جائزاً. أو يظنُّ أنَّ ما ورد من الحث على التباكي إن لم يتيسر البكاء يعني البكاء رياءً، ويعدّون الاستثناء المفترض هذا من فضائله الخاصة - عليه أفضل الصلاة والسلام - ويعتبرون كلَّ بكاءٍ على سيّد الشهداء - عليه السلام - عبادةً، عليهم أن

(١) تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٣، الحديث ٢٩٥. والخلاق: الحظ من الخير والصلاح. وجامع السعادات: ج ٢، ص ٣٧٦، باب الرياء.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١، ص ١٠٧، الحديث ١٣ من الباب ١١.

(٣) روى الكليني في الكافي الشريف: ج ٢ ص ٢٢٢، باب الرياء عن الامام الصادق عليه السلام قال: «كلُّ رياءٍ شرك، إنَّه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله». وقال رسول الله ﷺ: «لا يقبل الله تعالى عملاً فيه منقال ذرة من رياء».

وللتفصيل راجع الكافي: ج ٢، ص ٢٢٢، باب الرياء، ومشكاة الأنوار للطبرسي: ص ٣١٧، وجامع السعادات: ج ٢، ص ٣٧٣.

يعلموا أن الرياء في العبادة، كالقياس في الأدلة، وكالزُّب في المعاملات أمر غير جائز. وكيف يُحتمل ذو الشعور أن الحسين - صلوات الله عليه - يرضى أن يكون سبباً لجواز المعاصي وأكبر الموبقات أي: الرياء الذي يعدّ الشرك الأصغر^(١)، في حين أنه - سلام الله عليه - تحمّل كلّ تلك المصائب من أجل تثبيت أساس التوحيد لذات الله المقدّسة وإعلاء كلمة الحق في إتيان مباني الدين المبين وحفظه من يدع الملحدين. ما يظنه ويدّعيه هؤلاء الجهلة ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾^(٢).



(١) روى النراقي في جامع السعادات: ج ٢، ص ٣٧٥، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إِنْ أَخُوفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمَرَاتِينِ إِذَا جَازَى الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِ: إِذْهَبُوا إِلَى الَّذِي كُنتُمْ تَرَاوُنَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عَنْهُمْ الْجَزَاءَ».

(٢) سورة ص: الآية ٧.

الدرس السابع والأربعون:

٤٧- طول الأمل

روي عن أمير المؤمنين علي - عليه السلام - قوله: «وإنَّ أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل»^(١).

طول الأمل هو عبارة عن الاستغراق في الآمال والتمنيات، وتوقع الحياة والرفاهية في الدنيا. وهو يكون عادةً عن أمرين: الجهل والغرور، وحب الدنيا^(٢). فالجاهل المغرور يعتمد على شبابه أو صحته، ويستبعد الموت في عهد الشباب والصحة، ويغفل عن أنَّ الموت قد حصد ما لا يحصى من الأطفال والشباب، وكثرة حصول الأمراض المفاجئة، والموت المفاجيء.

ومحبة الدنيا الدنيئة، والأنس باللذات الفانية، فما دام الإنسان مُبتلى بهذه المحبة وهذا الأنس، فإنَّ فراق هذين يصعب عليه، لذا فإنَّه يرفض تصديق فكرة الموت، وإذا خطر الموت في ذهنه فإنَّه يحاول استبدال هذه الفكرة بما يشغل ذهنه عنها. وإذا ذكر الآخرة حيناً تصدَّى له الشيطان والنفس الأمارة بوعد غرور، وهو أنَّك في أول عمرك، لا بأس أن تشغل نفسك بالعيش وتحقيق الآمال وتأمين

(١) نهج البلاغة، ص ٩٨، الخطبة ٢٨.

(٢) روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ أشدَّ ما أخاف عليكم خصلتان: إتباع الهوى، وطول الأمل، فأما إتباع الهوى فإنَّه يصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل فإنَّه الحب للدنيا» جامع

السعادات: ج ٣، ص ٣٤.

الحاجيات الدنيوية؛ فإذا كبرت تتوب وتتهياً لآخرتك.

فإذا كبر قيل له: ما زلت شاباً اعمل ما شئت حتى تهرم.

وإذا هرم قال لأعمر هذه المزرعة، أو لأزوج أولادي، أو لأبني بيتي ثم أترك الدنيا وأنشغل بالعبادة في زاوية منه.

وكلما انتهى من أحد مشاريع تلك انشغل بمشروع جديد آخر، يمضي النفس باليوم والغد، حتى يفاجيء بالنداء، فيلبي حيث لا إمهال ولا غد غافلاً عن أن من كان يعده غروراً بالتوبة غداً هو معه في غده، وعن أن الفراغ من الخيال ومن أشغال الدنيا لا يحصل.

وإنما يفرغ عنها من يتركها دفعة واحدة.

إذن من قاربت سنه الأربعين ليعلم أن تفكيره بالدنيا غفلة وخدعة شيطانية، فقد مضت أيام اللذة والعيش، وأتى يوم النشاط والاستعداد، ففي كل يوم سيمر عليه سيضعف عضو من أعضائه، وهل يغفل عن ذلك إلا سيء الحظ «أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده»^(١).

أما علاج طول الأمل، فهو تذكر الموت، فإن تذكر الموت يخرج البشر من التعلق بالدنيا، ويشبع قلبه منها^(٢).

روي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله: «أكثرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللِّذَاتِ.

(١) سفينة البحار: ج ٢، باب العمر، والحديث لرسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) قيل للإمام الباقر عليه السلام: حدثني ما أنتفع به: قال: أكثر ذكر الموت، فإنه لم يكثر ذكره إنسان إلا زهد في الدنيا (الأخلاق ص ٣٢٨ عبدالله شبر).

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة ذكر الموت وأفضل التفكر ذكر الموت، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة».

قيل: وما هو يا رسول الله؟

قال: الموت، فما ذكره عبدٌ على الحقيقة في سعةٍ إلا ضاقت عليه الدنيا، ولا في شِدَّةٍ إلا اتسعت عليه»^(١).

وروي عن الامام جعفر الصادق - عليه السلام - في حديث طويلٍ منه كلام ملك الموت «ليس في شرقها ولا في غربها أهلٌ بيتٍ مدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا وأنا أتصفّحهم في كلِّ يوم خمس مرات».

وفي حديثٍ مشابه آخر يقول ملك الموت: «فالحذر الحذر، فما من أهل بيت مدَرٍ ولا شعرٍ في بَرٍّ ولا بحرٍ إلا وأنا أتصفّحهم في كل يوم خمس مرّاتٍ عند مواقيت الصلاة حتى لأنا أعلم منهم بأنفسهم»^(٢).

إذن أخي العزيز اذهب الى القبور وأنت حافٍ، ومرّ على تراب أصدقائك وتأمل في لوحات قبورهم واعتبر وتفكّر بما يجري على بُعد ذراعين تحت أقدامك. ثم تجرّد وتأمل في حالك فإنّك ستغدو مثلهم عن قريبٍ، وينتهي عمرك، وتظهر علامات الموت عليك من كلّ جانب، حتّى يتوقّف الأطباء عن علاج بدنك، وتتوقّف أعضاؤك عن الحركة، ويظهر عرق الموت على جبينك، ويأتيك ملك الموت بأمر ربّه، شتّ أم أبيت يبسط الموت مخالبه في جسمك الضعيف، فيفصل بين الروح والجسد، ويبيّك أهلك وأصداؤك وترتفع أهاثهم في مأتمك، ثم ترفع في التابوت، لينقلوك الى سجن قبرك، ثم يتركوك وحيداً في وحشة قبرك ويعودوا. عندها تأسف على أيام حياتك وصحتك وشبابك ووقت فراغك أيام حياتك كيف أمضيتها دون زاد ليومك هذا؟ وكيف لم تتزوّد لآخرتك حيث لا ينفع الندم؟ فقد انقطع العمل

(١) جامع السعادات: ج ٣، فصل ذكر الموت، مقصر الأمل: ص ٣٨، ط، النجف.

(٢) الكافي: ج ٣، باب إخراج روح المؤمن والكافر. وجامع السعادات: ج ٣، ص ٤١.

وجاء وقت الحساب والحصاد.

روي عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قوله: «خُذْ بِالثِّقَةِ مِنَ الْعَمَلِ، وَإِيَّاكَ وَالْإِغْتِرَارَ بِالْأَمَلِ، وَلَا تَدْخُلْ عَلَيْكَ الْيَوْمَ هَمٌّ غَدٍ... وَلَوْ أَخْلَيْتَ قَلْبَكَ مِنَ الْأَمَلِ لَجَدَدْتَ فِي الْعَمَلِ»^(١).

وروي عنه - صلى الله عليه وآله - قوله لابن مسعود: «قَصِّرْ أَمْلَكَ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَقُلْ: إِنِّي لَا أَمْسِي. وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَقُلْ: إِنِّي لَا أَصْبِحُ. وَاعْزِمْ عَلَى مَفَارِقَةِ الدُّنْيَا، وَاحْبِبْ لِقَاءَ اللَّهِ»^(٢).

وروي عن أمير المؤمنين علي - عليه السلام - قوله: «مَا طَالَ عَبْدُ الْأَمَلِ إِلَّا أَسَاءَ الْعَمَلِ»^(٣) و «أَمَّا طَوْلُ الْأَمَلِ، فَيَنْسِي الْآخِرَةَ» و «مَنْ أَيْقَنَ أَنَّهُ يُفَارِقُ الْأَحْبَابَ، وَيَسْكُنُ التُّرَابَ، وَيُوَاجِهُ الْحِسَابَ، وَيَسْتَغْنِي عَمَّا خَلْفَ، وَيَفْتَقِرُ إِلَى مَا قَدَّمَ، كَانَ حَرِيًّا بِقَصْرِ الْأَمَلِ، وَطَوَّلِ الْعَمَلِ»^(٤).



(١) بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ١١٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١٠١.

(٣) الاخلاق عبدالله شبر: ص ٣٢٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٨٨، وج ٧٢، ص ١٦٦. وج ٧٣، ص ١٦٧، وللتفصيل راجع تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣١١ الفصل السابع في ذم الأمل، ط مركز الابحاث والدراسات الاسلامية.

الدرس الثامن والأربعون:

٤٨- الرضا

المراد من الرضا ترك الاعتراض على المقدّرات الإلهيّة في الباطن والظاهر، قولاً وفعلًا^(١).

وصاحب هذه المرتبة دوماً في بهجة ولذّة وسرور وراحة. لا فرق عنده بين الفقر والغنى، وبين الراحة والعناء، وبين العزّة والذلة، وبين المرض والصحة والسلامة. فهو يراها جميعاً من الله، ويعشق كل أفعال الله لما ترسخ في قلبه حب الحق - تعالى - وراضٍ بكل ما يصله من معشوقه. فالصبر والرضا هم رأس كل طاعة^(٢).

قال - تعالى - في حديثٍ قدسيٍّ: «مَنْ لم يَرْضَ بقضائي، ولم يشكّرْ على نعمائي، ولم يصبرْ على بلائي، فليطلب ربّاً سواي»^(٣).

وروي عن الامام جعفر بن محمد الصادق - عليهما السّلام -: «عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله - عزّ وجلّ - له قضاءً إلّا كان خيراً له، وإن قُرّض بالمقاريض

(١) قال نصير الدين الطوسي في أوصاف الأشراف: ص ٩٠ - الفصل الثاني، الرضا: هو ثمرة

المحبة ومقتضى عدم الإنكار، سواء في الظاهر أو الباطن أو القلب وسواء في القول أو العمل.

(٢) روى الكليني في الكافي: ج ٢، ص ٤٩، ح ١، عن أبي عبد الله عليه السلام: «رَأْسُ طَاعَةِ اللَّهِ

الصبر والرضا عن الله فيما أحبّ العبد أو كرهه ولا يرضى عبداً عن الله فيما أحبّ أو كرهه إلّا كان خيراً له فيما أحبّ أو كرهه».

(٣) جامع السعادات: ج ٣، باب الجزع.

كان خيراً له، وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له»^(١).

واعلم أنّ مرتبة الرضا هي من ثمرات المحبة، وطريق تحصيلها السعي في تحصيل المحبة الإلهية بدوام الذكر والفكر وسائر الأمور التي تقوي المحبة الإلهية^(٢).
والتدبّر في أنّ عدم الرضا ليس له نتيجة، وكذلك السخط على القضاء.

فالقضاء والقدر لن يتغيرا من أجله، ولن تتغير أوضاع مصنع الوجود لتسلية قلبه، ولن يترتب على قلقه واضطرابه من القضاء سوى تضييع العمر وذهاب بركة الوقت.

على طالب مرتبة الرضا أن يتأمل الآيات والأخبار التي تتحدث عن رفعة وسمو مرتبة أهل البلاء^(٣)، وأن يعلم أن كل عناء سيكون كنزاً، وأن بعد كل محنة راحة.

إذن عليه أن يعيش مؤملاً ثواب الله، وأن يطوي صحراء البلاء بقدم الصبر، حتى تهون عليه مصاعب هذا الطريق، كالمريض الذي يتحمّل الحِجامة والفصد بالمبضع وتناول الدواء المرّ أملاً للشفاء.

واعلم أنّ الدعاء لا ينافي الرضا، فإننا أمرنا بالدعاء، وقال ربّ العالمين

(١) الكافي: ج ٢، باب الرضا بالقضاء ح ٨، ص ٥١، وروي عن الامام الصادق عليه السلام قال: «إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل».

وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص ٤١ عن الصادق عليه السلام قال: «في الرضا، واليقين والهم، والحزن في الشك والسخط».

(٢) قال السيد عبد الله شبر في الأخلاق ص ٢٦٧ - الباب الثالث: (حكى إنّ امرأةً عثرت فانقطع ظفرها وسال الدم فضحكت، فقيل لها: أما تألمت؟ فقالت: لذة الأجر أنستني الألم).

(٣) راجع الكافي: ج ٢، ص ١٩٦ باب شدة ابتلاء المؤمن.

﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١).

فالدعاء مفتاح السعادة، ومحقق الحاجات، وما قال البعض من أن الدعاء
ينافي الرضا مردود لا أساس له.



(١) سورة غافر: الآية ٦٠. وذيل الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

الدرس التاسع والأربعون:

٤٩- الصبر^(١)

الصبر هو السكينة وعدم الاضطراب عند البلايا والمصائب. وعكسه الجزع واليأس، وهما إطلاق العنان للنفس عند حلول البلاء والمصيبة والصراخ بآه وما شابه من نوح وتمزيق ثياب ولطم وجه، حتّى تقطيب الحاجبين والعبوس وأمثالها مما يصدر عن ضعف النفس.

وللصبر أقسام^(٢) أخرى كالصبر في المعارك والحروب وبعدّ شجاعة، والصبر في حال الغضب وبعدّ حلمًا، والصبر على مشقّة الطاعة، والصبر على

(١) قال نصيرالدين الطوسي في كتابه أوصاف الأشراف: ص ٦٨، الفصل الخامس: الصبر في اللغة: هو حبس النفس من الجزع في وقت وقوع المكروه، وإنما يكون ذلك بمنع باطنه من الاضطراب ولسانه من الشكوى وأعضائه من الحركات غير المعتادة.

(٢) قال نصيرالدين الطوسي في أوصاف الأشراف: الصبر على ثلاثة أنواع: الأول: صبر العوام، وهو حبس النفس على وجه التجلّد وإظهار الثبات في التحمل لتكون حالة عند العقل وعامة الناس مرضيّة ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

والثاني: صبر الزهّاد والعباد وأهل التقوى وأرباب الحلم، لتوقع ثواب الآخرة: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

والثالث: صبر العارفين فإنّ لبعضهم إلتذاذًا بالمكروه لتصورهم إنّ معبودهم خصهم به من دون الناس، وصاروا ملحوظين بشريف نظره ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

مقتضيات الشهوات وغيرها.

وفي الحقيقة فإن أكثر الأخلاق الفاضلة تنطوي تحت لواء الصبر.
ومرتبة الصبر من المراتب الرفيعة، وقد نسب الله - سبحانه - أكثر الخيرات للصبر، وخصّص أكثر درجات الجنة بالصابرين^(١).

القرآن الكريم تحدّث عن الصبر والصابرين في زكّرت من سبعين موضع منه، وأثبت صفاتهم، وغمرهم بصلوات الله ورحمته وهدايته، وبشّرهم أنّ الله سيوفّيهم أجورهم.

قال - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٢).

وقال: ﴿.. وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٣).

وقال: ﴿... قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤).

(١) روى الكليني في الكافي: ج ٢، ص ٧٣، ح ٧، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «الجنة محفوفة بالملكاه والصبر، فمن صبر على الملكاه في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة بالذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذاتها وشهوتها دخل النار».

وروى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «مَن ابْتُلِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِبَلَاءٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ أَلْفِ شَهِيدٍ».

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٣ - ١٥٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

١٠٨ خمسون درساً في الأخلاق

وقال: ﴿... الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ
بِالْأَسْحَارِ﴾^(١).

وقال: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

وقال: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣).
وتبعاً للقرآن الكريم فإن الأحاديث الشريفة تحدثت عن فضائل الصبر
والصابرين.

روي عن الامام جعفر الصادق - عليه السلام - قوله: «الصبر من الإيمان
بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر
ذهب الإيمان»^(٤).

أما طريق تحصيل مرتبة الصبر، فإنه يكون بمراعاة الأمور التالية:
الأول: التأمل والتفكير في الأحاديث التي تتحدث عن فضيلة الابتلاء في
الدنيا، وأنه في مقابل أية مصيبة يرتفع الصابر درجة أو تُمَحَى عنه سيئة، وأن يستيقن
أنه لا خير في مَنْ لا يُبْتَلَى.

الثاني: أن يتذكر أنَّ زمان المصيبة قصير وقليل، وأنه سيرفع عنه عما قريب.
الثالث: أن ينظر الى الجزوع الذي لاصبر له، ويرى هل استفاد شيئاً من
جزعه، أو أنه بلغه ما كان مقدراً له؛ صبر عليه أم جزع؟

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

(٣) سورة الزمر: الآية ١٠.

(٤) الكافي: ج ٢، باب الصبر، ح ٢، ص ٧١، وقال الصادق عليه السلام: «الصبر رأس الإيمان».

وما كان مقدراً له لا يتغير وبالجزع والاضطراب وشق الثياب، بل أن الجزع يُذهب ثوابه ويضيعه، ويسقط وقاره.

الرابع: أن يتأمل حال من ابتلي ببلاءٍ أعظم من بلائه.

الخامس: أن يعلم أن الابتلاء والمصائب هي دليل الفضل والسعادة، فإنه الإنسان كلما كان مقرباً من الله أكثر كان ابتلاؤه الأكثر «ما كان عبداً على الله إلاّ ازداد عليه البلاء»^(١).

السادس: أن الآدمي يتكامل بريضة المصائب.

السابع: أن يتذكر أن هذه المصيبة إنما أتته من الله - تعالى - الذي هو أحب الموجودات إليه، ذلك الذي لا يريد سوى خيره وصلاحه.

الثامن: أن يتتبع ويفحص في أحوال المقربين، وبلاتهم وصبرهم عليه، إلى أن تحصل عنده رغبة الصبر واستعداد النفس^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٩٦، ص ٢٨ والحديث لرسول الله ﷺ.

(٢) روى نصير الدين الطوسي في أوصاف الأشراف ص ٦٩: «إن جابر بن عبد الله الأنصاري الذي كان من كبار الصحابة، ابتلى في آخر عمره بضعف الهرم والعجز فزاره الامام - محمد بن علي الباقر عليه السلام، فسأله عن حاله فقال: أنا في حالة أحب فيها الشيخوخة على الشباب، والمرض على الصحة، والموت على الحياة، فقال الباقر عليه السلام: أما أنا، فإن جعلني الله شيخاً أحب الشيخوخة، وإن جعلني الله شاباً أحب الشيبوبة، وإن أمرضني أحب المرض، وإن شفاني أحب الشفا والصحة، وإن أماتني أحب الموت، وإن أبقاني أحب البقاء، فلما سمع جابر هذا الكلام منه قبل وجهه وقال: صدق رسول الله ﷺ فإنه قال لي: «إنك ستدرك ولداً من أولادي اسمه اسمي يبق العلم بقرأ كما يبقر الثور الأرض».

فقال الطوسي رحمه الله: يُعلم من معرفة هذه المراتب أن جابراً عليه السلام، كان في مرتبة الصبر، ومحمد الباقر عليه السلام كان في مرتبة الرضا.

١١٠ خمسون درساً في الأخلاق

واعلم أنّ المراد من الصبر هو ما ذكرته لك في بداية هذا الموضوع، أما احتراق القلب وانسكاب الدموع؛ فإنه من المقتضيات البشرية للعبد وأنّه لا يخرج العبد عن حدّ الصبر، فالمريض رغم رضاه بالحجامة والفصد والدواء؛ لكنّه يتأثر بالألم.



الدرس الخمسون:

٥٠- الشكر

شكر النعمة عبارة عن معرفة النعمة النازلة من المنعم، والفرح بها، واستهلاكها في المجال الذي يرضاه المنعم^(١).
والشكر أفضل منازل أهل السعادة، وسبب في رفع البلاء، وباعث على زيادة النعم.

ولذا أمرنا به ورغبنا عليه.

قال - تعالى - : ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾^(٢).

يُستفاد من هذه الآية الشريفة ومن الأخبار المعتبرة أن كفران النعمة الذي هو عكس الشكر يؤدي إلى شقاء الإنسان في الآخرة، ويؤدي إلى الحرمان وسلب النعمة في الدنيا.

قال الفيلسوف سعدى «إنَّ أجَلَ الكائنات شكلاً وظاهراً للإنسان، وأذْهَها الكلب، واتفق العلماء على تفضيل الكلب الوفي على البشر الكافر بالنعم». الكلب لا ينسى أبداً لقمتك وإن ضربته بمائة حجر

(١) قال نصير الدين الطوسي رحمه الله في أوصاف الأشراف: ص ٧٠، الفصل السادس: الشكر في

اللغة: (هو الثناء على المنعم، ليوازي نعمه).

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٧.

وإن أنت أكرمت السافلَ عمراً فإنه لن يكافيك بأقلَّ من الحرب^(١)

وبما أن معنى الشكر هو استهلاك النعم فيما يرضاه المنعم، كان من اللازم على العبد أن يعرف ما فيه رضا الله - سبحانه - وأن يعرف ما يكرهه الله ولا يرضاه، ليتمكن من أداء الشكر وترك الكفران.

أما الطريق الذي بإتباعه يتمكن العبد من تحصيل جميع ما يحبه الله وما يكرهه، وهو الشرع المقدس، فإن فيه بياناً لكل ما يرضاه الله، ولكل ما يسخطه، وقد عبّر عما يرضاه الله بالواجبات والمستحبات، وعما يسخط الله بالمحرّمات والمكروهات.

إذن فمن لم يكن مطلعاً على جميع أحكام الشريعة المطهرة، ولم يكن يطبقها في جميع أفعاله، فإنه لن يتمكن من أداء الشكر لله كما ينبغي.

واعلم أن شكر الله يتحقق بأمورٍ وهي:

الأول: أن ينظر إلى من هم دونه في الإمكانيات الدنيوية، وإلى من هم أعلى منه بالأمور الدينية.

الثاني: لينظر إلى الأموات، ويتذكّر أنّ نهاية ما يرغبون فيه العودة إلى الدنيا لعمل الخير: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً﴾^(٢) ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾^(٣).

(١) تعريب لأبيات شعر فارسية. وعلى هذا الغرار قال المتنبي:

إن أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أكرمت اللئيم تمردا

(٢) سورة السجدة: الآية ١٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان ٩٩ - ١٠٠.

فليفترض الإنسان نفسه منهم، ويتصور أنه أُعيد الى الدنيا الآن، ويستغل فرصة بقاءه.

الثالث: أن يتذكر ما مرَّ عليه من مصائب عظيمة وأمراضٍ مُهلكةٍ، وكيف أنه لم يكن يرى نَجاةً منها، ثم ليغتنم خلاصه منها، فإنه كان من الممكن أن تكون كلُّ منها سبباً في موته، ويعتبر بقاءه حياةً جديدةً وفرصةً أخرى للعمل.

الرابع: أن يشكر الله عند كل مصيبةٍ أن لو شاء لابتلاه بأشدَّ منها، أو لو شاء لابتلاه بدينه وهو أشدَّ البلاء.

الخامس: أن يتبحَّر في المعرفة الإلهية، ويتفكَّر في الصنائع الإلهية، وفي أنواع النعم الظاهرية والباطنية ﴿.. وإن تعدوا نعمةَ الله لا تُحصوها...﴾^(١).

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٤، وقال الامام السجاد عليه السلام: «لا أُحصى ثناء عليك أنتَ كما اثنيتَ على نفسك وفوق ما يقول القائلون».

وروى العلامة المجلسي في البحار: ج ٦٠، ص ٢٦، باب ٣٠: «إنَّ الإيمان نصفان نصفه صبرٌ ونصفه شكر».

وروى الطبرسي في مشكاة الأنوار: ص ٣٧ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: مكتوب في التوراة، أشكر من أنعم عليك، وانعم على مَنْ شكرك، فإنه لازوال للنعماء إذ شكرتَ، ولا بقاء لها إذا كفرتَ، والشكرُ زيادة في النعم، وأمان من التغير.

وروي عن الامام الصادق عليه السلام: إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنعم على قوم بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، وابتلى قومًا بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة.

وللمزيد راجع اصول الكافي: ج ٢، ص ٧٧، باب الشكر.

الختام

اعلم أنه لا بدّ لك من أمورٍ تُعينك على تطهير نفسك من الأوصاف الرذيلة وتجميلها بالصفات الجميلة، منها:

١- المواظبة على الأعمال التي تنتجها الصفات الحسنة، ويلزم نفسه بها رضىً بذلك أم أبى، فإن مقتضى الصفة أن يجد الإنسان في تحصيلها أو يجد في إبقائها والمحافظة عليها.

٢- المواظبة على مراقبة حال نفسه وأعماله، تأمل كل عمل قبل الشروع فيه، لتلا يعمل خلافاً لمقتضى الخلق الحسن، وأن لا يغفل عن حاله أبداً. بل عليه أن يفتح دفتر أعماله كل يوم وليلة فيمر عليها متفحصاً فيما صدر عنه، فإن كان عمله خيراً حمد الله وشكره على توفيقه له، وإن كان عمل سوءاً تاب وأصلح.

٣- أن يحترز عما يُحرّك شهوته وغضبه، كأن يمنع عينه وأذنه وقلبه عن رؤية وسماع وتصوّر كل ما يثير غضبه وشهوته، وليجد في صون قلبه عن تلك الوسواس.

٤- أن لا ينخدع بنفسه، وأن لا يحمل أعماله على محمل الصحة، وأن يستقصي عيوبه، وأن يسعى لإزالة ما وجد منها، وليعلم أن كلّ نفسٍ تعشق صفاتها وأفعالها، فإن أعماله تحسن في نظره، ولن يكتشف عيوبه إلا بالتأمل ودقة النظر.

ومن المستحسن أن يتفحص معاييه عبر أصدقائه، وأن يترصد ما يظهره أعداؤه له من عيوب، فيجد في إصلاحها، وأن يتخذ من الآخرين مرآة لرؤية عيوبه، فإذا رأى في أعمالهم قبحاً منع نفسه من فعله، وإن رأى منهم عملاً حسناً جدّ

في فعله.

٥- أن يمتنع عن مصاحبة الأشرار وسيئ الخلق، ويتعد عنهم، وأن يلتزم مصاحبة أهل الدين والأخلاق الحسنة، فإن للمجالسة والمصاحبة مدخلة عظيمة في شخصيته، فإن طبع الإنسان كاللص يلتقط ما يكرر أمامه.

ابن نوح عاشر الأشرار فسنسي انتسابه الى النبي
وكلب أصحاب الكهف عاشر الصالحين فأصبح آدمي^(١)

علاوة على ذلك فإن جليس الأشرار وأهل المعاصي شريكهم في العذاب ﴿ولا تتركوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار...﴾^(٢).

لتعرف آثار مجالسة أهل المعاصي أنقل لك حديثاً شريفاً جامعاً للفوائد العظيمة، وبه أختم رسالتي هذه:

روي عن الإمام محمد جعفر الصادق - عليه السلام - قوله: «مرّ عيسى بن مريم - عليها السلام - على قرية قد مات أهلها وطيرها وداوئها، فقال: أما إنهم لم يموتوا إلا بسخطة، ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا.

فقال الحواريون: يا روح الله وكلمته ادع الله أن يُحييهم لنا، فيخبرونا ما كانت أعمارهم فنجتنبها.

فدعا عيسى - عليه السلام - ربه، فتوذي من الجوّ: أن نادهم.

فقال عيسى - عليه السلام - بالليل على شرف من الأرض، فقال: يا أهل هذه القرية.

فأجابه منهم مجيب: لبيك يا روح الله وكلمته.

(١) تعريب شعر فارسي.

(٢) سورة هود: الآية ١١٣.

فقال: ويحكم ما كانت أعمالكم؟

قال: عبادة الطاغوت، وحبُّ الدُّنيا، مع خوفٍ قليلٍ، وأملٍ بعيدٍ، وغفلةٍ في
لهو ولعب.

فقال: كيف كان حبُّكم للدنيا؟

قال: كحبِّ الصبي لأمِّه، إذا أقبلت علينا فرحنا وسُررنا، وإذا أدبرت عنا
بكينا وحزنّا.

قال: كيف كانت عبادتكم للطاغوت؟

قال: الطاعة لأهل المعاصي.

قال: كيف كان عاقبة أمركم؟

قال: بتنا ليلةً في عافية وأصبحنا في الهاوية.

فقال: وما الهاوية؟

قال: سجين.

قال: وما سجين؟

قال: جبالٌ من جمرٍ تُوقَد علينا الى يوم القيامة.

قال: فما قلتم، وما قيل لكم؟

قال: قلنا: ردّنا الى الدنيا، فنزهد فيها. قيل لنا: كذبتُم.

قال: ويحك كيف لم يكلمني غيرك من بينهم؟

قال: يا روح الله إنهم ملجمون بلباسٍ من نارٍ بأيدي ملائكةٍ غلاظٍ شدادٍ،
وإنِّي كنت فيهم، ولم أكن منهم، فلمّا نزل العذاب عمّني معهم، فأنا معلقٌ بشعرة على
شفير جهنّم، لا أدري أكبكبُ فيها أم أنجو منها.

فالتفت عيسى - عليه السّلام - الى الحواريين، فقال: يا أولياء الله أكل الخبز

اليابس بالملح الجريش^(١)، والنوم على المزابل خيرٌ كثيرٌ مع عافية الدنيا والآخرة^(٢).

لا يخفى أنّ ما نقله ذلك الرجل لعيسى - عليه السلام - عن حال تلك القرية ينطبق على حالنا وحال أهل زماننا، فالكثير منّا يفتقر حتّى الى الخوف القليل الذي كان عند أهل تلك القرية.

أمّا قصّة حبّنا للدنيا وطول أملنا وغفلتنا وهونا ولعبنا، فهي أوضح من أن نستعرضها هنا.

فكلّ مَنْ يرجع الى نفسه وأهل زمانه سيعلم ذلك جيداً.

وما أحسن ما ذكره الحكماء من تشبيه حالنا وغفلتنا وغرورنا بالدنيا بذلك الشخص الذي كان في صحراء، وكان مطاردًا من حيوان، لجأ الرجل الى بئر وربط الحبل بوسطه، وربط الطرف الآخر للحبل بعمودٍ قرب البئر، وتدلى هو في البئر، ثم نظر الى أسفل البئر فوجدها مملّأى من الحيوانات المفترسة الجائعة فاغرة الأفواه تنتظر وصوله تُتمرّقه، فنظر الى أعلى فوجد فأرين أحدهما أبيض والآخر أسود يقرضان الحبل، فنظر حوله لوجد عسلًا قد اختلط بتراب على الحائط اجتمع النحل عليه، فغفل عما ينتظره عند انقطاع الحبل وسقوطه في أفواه السباع الجائعة، وأخذ يأكل العسل ويصارع النحل.

لو عرضت هذه القصة على كلّ شخص لاعتبر ذلك الرجل الأحمق والسفيه ولقال: هل هذا وقت الغفلة، ووقت أكل العسل؟ بل عليه أن يفكر بخلاص نفسه.

(١) الجريش: الخشن والذي لم يعد للطعام.

(٢) الكافي: ج ٢، كتاب الايمان والكفر، باب حب الدنيا والحرص عليها، الحديث ١١ ص ٢٤٠.

هذه القصة هي عينُ حالنا، فالدُّنيا هي بمنزلة تلك البئر، والحيوانات المفترسة بمنزلة الموت والقبر، والفأران بمنزلة الليل والنهار اللذين ماداما يقرضان حبل عمرنا، والعسل المختلط بالتراب بمنزلة لذات الدنيا الممزوجة بالآلام الكثيرة، والنحل بمنزلة أبناء الدنيا الذين نصارعهم دوماً من أجل الدنيا. نسأل الله البصيرة والعافية، ونعوذ به من الغفلة والغواية.

* * *

تمّ الفراغ - بفضل الله ومنّه - من تصحيحه وتحقيقه

في السابع عشر من شوال من سنة ١٤٢٤ هـ

في مدينة قم المقدّسة

نزار نعمة الحسن



مصادر التحقيق

- اصول الكافي للكليني
بحار الأنوار للعلامة المجلسي
تفسير العياشي
الخصال للشيخ الصدوق
الأخلاق للسيد عبد الله شبر
جامع السعادات للنراقي
جامع الأخبار للسبزواري
الدعوات للراوندي
روضة الواعظين لابن قتال النيشابوري
سفينة البحار للشيخ عباس القمي
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي
علل الشرائع للصدوق
غرر الحكم للآمدي
كنز العمال للمتقي الهندي
مكارم الأخلاق للطبرسي ابن صاحب تفسير مجمع البيان
مشكاة الأنوار للطبرسي ابن صاحب مكارم الأخلاق
مستدرک الوسائل للمحدث النوري
المحجة البيضاء للفيض الكاشاني
معاني الأخبار للصدوق
نهج البلاغة للسيد الرضي
وسائل الشيعة للحرّ العاملي

المحتويات

٥٧ ٢٥- تحقير الناس	٣ الاهداء
٥٨ ٢٦- الظلم	٥ مقدمة المحقق
٦١ ٢٧- قضاء حاجة المؤمن	٩ نبذة عن حياة المؤلف
٦٢ ٢٨- إلقاء السرور في قلب المؤمن	١١ مقدمة المؤلف
٦٣ ٢٩- الأمر بالمعروف والنهي عن...	١٣ ١- الخوف والخشية
٦٤ ٣٠- الإلفة	١٦ ٢- الرجاء
٦٧ ٣١- صلة الرحم	١٧ ٣- الغيرة والحمية
٦٩ ٣٢- عقوق الوالدين	١٨ ٤- كلمة في ذم العجلة
٧١ ٣٣- مراعاة الجار	١٩ ٥- الغضب
٧٣ ٣٤- إظهار العيوب	٢١ ٦- الحلم
٧٥ ٣٥- حفظ السر	٢٣ ٧- العفو
٧٦ ٣٦- النسيمة	٢٥ ٨- الرفق
٧٨ ٣٧- السمات	٢٦ ٩- سوء الخلق
٧٩ ٣٨- المراء	٢٨ ١٠- العداوة والشتم
٨١ ٣٩- الاستهزاء	٣٠ ١١- العُجب
٨٢ ٤٠- الإفراط في المزاح	٣٢ ١٢- التكبر والتواضع
٨٣ ٤١- الغيبة	٣٤ ١٣- القساوة
٨٦ ٤٢- الكذب	٣٦ ١٤- الشره
٩٠ ٤٣- آفات اللسان	٣٧ ١٥- حب الدنيا
٩٢ ٤٤- حب الرياسة	٣٩ ١٦- الفقر
٩٤ ٤٥- الخمول والخفاء	٤١ ١٧- السؤال
٩٦ ٤٦- الرياء	٤٣ ١٨- الحرص
٩٩ ٤٧- طول الأمل	٤٥ ١٩- الطمع
١٠٣ ٤٨- الرضا	٤٦ ٢٠- البخل
١٠٦ ٤٩- الصبر	٤٨ ٢١- السخاء
١١١ ٥٠- الشكر	٥١ ٢٢- اجتناب الحرام
١١٤ الختام	٥٣ ٢٣- التكلم بما لا يعني
	٥٥ ٢٤- الحسد